

مهارات التعامل مع كتب التفسير

إعداد/ د. عمرو الشرقاوي

أكاديمية بينة

الدراسات الإسلامية تأصيل وتسهيل

1441هـ - 2020م



المحور الأول مفهوم التفسير

التفسير: بيان معاني القرآن.

ومعرفة تفسير القرآن الكريم من أهم وسائل تحقيق المقصد من إنزاله، وهو الهداية ووصول الناس إلى الحق، قال تعالى: {قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ} [النحل: ١٠٢].

وبيان القرآن على نوعين:

- (١) إيضاح المعاني.
- (٢) تحقق وقوع ما أخبر القرآن عنه، كأشراط الساعة، وما أعدّه الله من نعيم أهل الجنة، وعذاب أهل النار، فتحقق هذه الأمور هو أعلى أنواع البيان لها.

وقد قسم العلماء بيان القرآن إلى أربعة أقسام^(١):

(١) قسم لا يعذر أحد بجهالته.

والمراد به: ما هو بين بنفسه، يفهمه التالي للقرآن، ويعرف المراد منه، كقوله تعالى: {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} [النور: ٥٦].

(٢) وقسم تعرفه العرب من كلامها.

وهذا القسم يشمل ألفاظ القرآن، وأساليبه، وأعلم الناس بلغة القرآن من نزل القرآن فيهم، ولذلك كان بيان أصحاب النبي ﷺ مع ما يحويه من البيان الشرعي إلا أنهم حجة في اللغة كذلك إذ هم أهلها.

(١) تفسير الطبري: (١/ ٦٧)، القطع والانتناف: (١٢٥)، والبرهان في علوم القرآن: (٢/ ١٦٤)، المقدمات الأساسية في علوم القرآن: (٢٨٠).



٣) وقسم يعلمه الراسخون في العلم.

وهو ما يُحتاج في معرفته إلى نوع اجتهاد، كبيان المجمل، وتخصيص بعض العمومات، وإيضاح بعض المشكلات، وهو موضوع كتب التفسير.

٤) وقسم لا يعلمه إلا الله.

وذلك ما في القرآن من وقت قيام الساعة، ونزول عيسى ابن مريم، وما أشبه ذلك، فهذه الأمور لا يعلمها إلا الله، ولا نعلم منها إلا الخبر بأشراطها، قال تعالى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [الأعراف: ١٨٧].



المحور الثاني

فضل الاشتغال بعلم التفسير

لا يخفى على كل ذي لب أن علم القرآن العظيم: هو أرفع العلوم قدرًا، وأجلها خطرًا، وأعظمها أجرًا، وأشرفها ذكرًا^(٢)، وأن أحق ما صرفت إلى علمه العناية، وبلغت في معرفته ما كان لله في العلم به رضا، وللعالم به إلى سبيل الرشاد هدى، وأن أجمع ذلك لباغيه، كتاب الله الذي لا ريب فيه، وتنزيله الذي لا مرية فيه، الفائز بجزيل الذخر وسنى الأجر تاليه، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد^(٣).

ولا شك أن الفوائد التي تحصل للمشتغل بعلوم القرآن عامة، وعلم التفسير خاصة عظيمة وكثيرة، لكننا نقتصر منها على ما يحصل به المطلوب، فنقول:

(١) دراسة علم التفسير طريق فهم القرآن المجيد، وجماع الخير أن يستعين الإنسان بالله في فهم العلم الموروث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن يستعين بما يسره الله من معلومات على ذلك أيضًا، ولذا اهتم العلماء قديمًا وحديثًا بفهم القرآن المجيد، وتيسير فهمه للناس في كل عصر^(٤).

يقول شيخ الإسلام عن أهل العلم الذين رفع الله ذكرهم: "وأما في (باب فهم القرآن) فهو دائم التفكير في معانيه، والتدبر لألفاظه، واستغنائه بمعاني القرآن وحكمه عن غيره من كلام

(٢) مقدمة تفسير الإمام ابن جزي، (١٠/١).

(٣) جامع البيان، للطبري: (٧/١).

(٤) يقول الإمام الواحدي في تفسيره الوجيز: ((إني كنت قد ابتدأت بإبداع كتاب في التفسير لم أسبق إلى مثله، وطال علي الأمر في ذلك لشرائط تقلدتها، وموجب من حق النصيحة لكتاب الله تعالى تحمّلتها، ثم استعجلني قبل إتمامه والتقصي. عما لزمني من عهدة أحكامه نفرًا متقاصرو الرغبات، منخفصو الدرجات، أولو البضائع المزجاة، إلى إيجاز كتاب في التفسير يقرب على من تناوله ويسهل على من تأمله من أوجز ما عمل في باب، وأعظمه فائدة على متحفظيه وأصحابه، وهذا كتاب أنا فيه نازل إلى درجة أهل زماننا تعجيلًا لمنفعتهم، وتحصيلًا للمثوبة في إفادتهم ما تمنوه طويلاً فلم يغني عنهم أحد فتيلًا))، الوجيز: (٨٥).



الناس، وإذا سمع شيئاً من كلام الناس وعلومهم عرضه على القرآن؛ فإن شهد له بالتركية = قبله، وإلا رده، وإن لم يشهد له بقبول ولا رد = وقفه، وهمته عاكفة على مراد ربه من كلامه. ولا يجعل همته فيما حجب به أكثر الناس من العلوم عن حقائق القرآن إما بالوسوسة في خروج حروفه وترقيقها وتفخيمها وإمالتها والنطق بالمد الطويل والقصير والمتوسط وغير ذلك = فإن هذا حائل للقلوب قاطع لها عن فهم مراد الرب من كلامه.

وكذلك شغل النطق بـ: {ءَأَنْذَرْتَهُمْ} وضم الميم من عليهم ووصلها بالواو وكسر الهاء أو ضمها ونحو ذلك.

وكذلك مراعاة النغم وتحسين الصوت.

وكذلك تتبع وجوه الإعراب واستخراج التأويلات المستكرهة التي هي بالألغاز والأحاجي أشبه منها بالبيان.

وكذلك صرف الذهن إلى حكاية أقوال الناس ونتائج أفكارهم.

كذلك تأويل القرآن على قول من قلده دينه أو مذهبه فهو يتعسف بكل طريق حتى يجعل القرآن تبعاً لمذهبه، وتقوية لقول إمامه.

وكل محجوبون بما لديهم عن فهم مراد الله من كلامه في كثير من ذلك أو أكثره.

وكذلك يظن من لم يقدر القرآن حق قدره أنه غير كاف في معرفة التوحيد والأسماء والصفات وما يجب لله وينزه عنه؛ بل الكافي في ذلك عقول الحيارى والمتهوكين الذين كل منهم قد خالف صريح القرآن مخالفة ظاهرة، وهؤلاء أغلظ الناس حجاباً عن فهم كتاب الله تعالى والله سبحانه وتعالى أعلم^(٥).

(٢) أن "حاجة الأمة مأسسة إلى فهم القرآن الذي هو حبل الله المتين، والذكر الحكيم، والصراط المستقيم، الذي لا تزيع به الأهواء، ولا تلتبس به الألسن، ولا يخلق عن كثرة الترديد،

(٥) مجموع الفتاوى: (١٦ / ٥٠ - ٥١).



ولا تنقضي عجائبه، ولا يشبع منه العلماء، من قال به صدق، ومن عمل به أُجِرَ، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم، ومن تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله" (٦).

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا (١٧٤) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [النساء: ١٧٤-١٧٥]، وقال: {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [الشورى: ٥٢].

٣) أن دراسة علم التفسير مما يعين على فهم مقاصد القرآن، وقد ندم أهل العلم بالتفسير على تضييع بعض أوقاتهم في غير معاني القرآن، يقول ابن رشيق عن شيخ الإسلام ابن تيمية: "ثم لما حُبس في آخر عمره كتبت له: أن يكتب على جميع القرآن مرتبًا على السور، فكتب يقول: إن القرآن فيه ما هو بيّن في نفسه، وفيه ما بيّنه المفسرون في غير كتاب؛ ولكن بعض الآيات أشكلت على جماعة من العلماء، فربما يطالع الإنسان عليها عدّة كتب ولا يبيّن له تفسيرها، وربما كتب المصنف الواحد في آية تفسيرًا وتفسير نظيرها بغيره، فقصدت تفسير تلك الآيات بالدليل؛ لأنه أهم من غيره، وإذا تبين معنى آية تبين معاني نظائرها.

وقال: قد فتح الله عليّ في هذا الحصن في هذه المدّة من معاني القرآن، ومن أصول العلم بأشياء مات كثير من العلماء يتمنونها، وندمت على تضييع أكثر أوقاتي في غير معاني القرآن، أو نحو هذا" (٧).

ويقول العلامة الفراهي عن نفسه، وعن بعض الشواغل التي شغلته عن القرآن: "ولما كانت هذه المشاغل تمنعني عن التجرد لمطالعة القرآن المجيد، ولا يعجبني غيره من الكتب التي مللت

(٦) مقدمة أصول التفسير، مع شرح د. مساعد الطيار: (١٨).

(٧) الجامع لسيرة شيخ الإسلام: (٢٨٤)، والعقود الدرية: (٤٤).



النظر في أباطيلها، غير متون الحديث، وما يعين على فهم القرآن، تركت الخدمة، ورجعت إلى وطني، وأنا بين خمسين وستين من عمري، فيا أسفا على عمر ضيعته في أشغال ضرها أكبر من نفعها! ونسأل الله الخاتمة على الإيمان" (٨).

٤) ودارس علم التفسير مشمولٌ بقول النبي ﷺ: **(خيركم من تعلم القرآن وعلمه)** (٩)، "وتعلم القرآن وتعليمه يتناول تعلم حروفه وتعليمها، وتعلم معانيه وتعليمها، وهو أشرف قسمي علمه وتعليمه، فإن المعنى هو المقصود، واللفظ وسيلة إليه، فتعلم المعنى وتعليمه = تعلم الغاية وتعليمها، وتعلم اللفظ المجرد وتعليمه = تعلم الوسائل وتعليمها، وبينهما كما بين الغايات والوسائل" (١٠).

قال شيخ الإسلام: "ولهذا دخل في معنى قوله: **(خيركم من تعلم القرآن وعلمه)** تعليم حروفه ومعانيه جميعا، بل تعلم معانيه هو المقصود الأول بتعليم حروفه، وذلك هو الذي يزيد الإيمان" (١١).

٥) قال الشافعي: "والناس في العلم طبقات، موقعهم من العلم بقدر درجاتهم في العلم به. فحق على طلبة العلم بلوغ غاية جهدهم في الاستكثار من علمه، والصبر على كل عارض دون طلبه، وإخلاص النية لله في استدراك علمه نصًا واستنباطًا، والرغبة إلى الله في العون عليه، فإنه لا يدرك خيرًا إلا بعونه.

فإن من أدرك علم أحكام الله في كتابه نصًا واستدلالاً، ووقفه الله للقول والعمل بما علم منه: فاز بالفضيلة في دينه ودنياه، وانتفت عنه الريب، ونوّرت في قلبه الحكمة، واستوجب في الدين موضع الإمامة.

(٨) مجلة الضياء، نقلًا عن مقدمة مفردات القرآن: (٢٠).

(٩) رواه البخاري: (٥٠٧٢).

(١٠) مفتاح دار السعادة: (١ / ٧٤).

(١١) الفتاوى الكبرى: (٤ / ٤٢٣).



فإن من أدرك علم أحكام الله في كتابه نصّاً واستدلالاً، ووقفه الله للقول والعمل بما علم منه: فاز بالفضيلة في دينه ودنياه، وانتفت عنه الرّيب، ونوّرت في قلبه الحكمة، واستوجب في الدين موضع الإمامة.

فنسأل الله المبتدئ لنا بنعمه قبل استحقاقها، المديمها علينا مع تقصيرنا في الإتيان إلى ما أوجب به من شكره بها، الجاعلنا في خير أمة أخرجت للناس: أن يرزقنا فهماً في كتابه، ثم سنة نبيه، وقولاً وعملاً يؤدي به عنا حقه، ويوجب لنا نافلة مزيدة.

فليست تنزل بأحد من أهل دين الله نازلة إلا وفي كتاب الله الدليل على سبيل الهدى فيها" (١٢).

وقال أبو وائل: "خطب ابن عباس - وهو على الموسم - فجعل يقرأ ويفسر، فجعلت أقول: لو سمعته فارس والروم لأسلمت".

وفي رواية أن السورة التي قرأها سورة النور، قال أبو وائل: "قرأ ابن عباس سورة النور، فجعل يفسرها، فقال رجل: لو سمعت هذا الديلم لأسلمت" (١٣).

(١٢) الرسالة: (١٩ - ٢٠).

(١٣) المستدرک: (٣/٦١٨)، والإصابة: (٤/١٢٩).



المحور الثالث نشأة علم التفسير

لقد نشأ (علم التفسير) مع نزول القرآن، فقد أنزل الله تعالى القرآن، وجعله دعوة رسول الله ﷺ، وكان النبي ﷺ المفسر الأول للقرآن، قال تعالى: {إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٩١)} وَأَنْ أَتْلُو الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ} [النمل: ٩١-٩٢]، وقال: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} [النحل: ٤٤].

فالحاصل: أن النبي ﷺ: "بين لأصحابه معاني القرآن كما بين لهم ألفاظه... فإن من المعلوم أن كل كلام المقصود منه فهم معانيه دون مجرد ألفاظه، فالقرآن أولى بذلك. وأيضا، فالعادة تمنع أن يقرأ قوم كتابا في فن من العلم - كالتطب والحساب - ولا يستشروه، فكيف بكلام الله الذي هو عصمتهم، وبه نجاتهم وسعادتهم، وقيام دينهم وديناهم؟! ومن التابعين من تلقى جميع التفسير عن الصحابة، وإن كانوا قد يتكلمون في بعض ذلك بالاستنباط، والاستدلال، كما يتكلمون في بعض السنن بالاستنباط والاستدلال" (١٤)، وسنعرض ذلك إن شاء الله (١٥).

(١٤) مقدمة في أصول التفسير، مع شرح د. مساعد الطيار: (٣١)، بتصرف .

(١٥) الكتابات في هذه القضية قليلة وغير محررة، وقد استفدنا هذا البحث من كتاب: ((المدخل لتكوين طالب العلم في علوم القرآن وأصول التفسير))، لشيخنا الدكتور مساعد الطيار، من إصدارات مركز نباء، لم ينشر. بعد، وانظر: المقدمات الأساسية في علوم القرآن: (٣١٣ - ٣٢٤)، وما بعده فقد ذكر جملة من التفاسير .



أولاً: التفسير في عهد النبي ﷺ:

ذكرنا أن النبي ﷺ هو المبين الأول للقرآن، دل على ذلك قوله تعالى: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لَتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} [النحل: ٤٤].

وقد بين النبي ﷺ لأصحابه ما يحتاجون إلى فهمه من القرآن المجيد، ولم يكن من منهجه ﷺ أن يفسر القرآن لفظة لفظة، أو آية آية، فإن فيه ما هو بين بنفسه، ويفهم من خلال لغة العرب، والصحابة أهل اللغة التي نزل القرآن بها (١٦).

والتفسير في عهد النبي ﷺ على ضربين:

الأول: ما يكون بنص صريح منه ﷺ، وهو نوعان:

(١) ما يكون ابتداءً من الرسول ﷺ، ومثاله:

عقبة بن عامر، يقول: سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر، يقول: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَّا اسْتَطَعْتُمْ مِّن قُوَّةٍ} [الأنفال: ٦٠]، **ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي** (١٧).

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: (قيل لبني إسرائيل: {وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً} [البقرة: ٥٨]، **فدخلوا يزحفون على أستاههم، فبدلوا، وقالوا: حطة، حبة في شعرة**) (١٨).

وعن أبي سعيد بن المعلى رضي الله عنه، قال: كنت أصلي فمر بي رسول الله ﷺ فدعاني، فلم آتته حتى صليت ثم أتيته، فقال: (ما منعك أن تأتي؟ ألم يقل الله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ} [الأنفال: ٢٤]).. ثم قال: **(لأعلمنك أعظم سورة في القرآن قبل**

(١٦) انظر: شرح مقدمة في أصول التفسير، د. مساعد الطيار: (٣٦ - ٤٩)، فإنه مهم جداً في هذا المعنى.

(١٧) رواه مسلم: (١٩١٧).

(١٨) رواه البخاري: (٤٤٧٩)، وأطرافه في (٣٤٠٣)، ومسلم: (٣٠١٥).

أن أخرج)، فذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخرج فذكرت له... وقال: (هي: {الحمد لله رب العالمين} [الفاحة: ٢]، السبع المثاني) (١٩).

(٢) ما يكون جواباً عن سؤالات الصحابة، ومقاله:

عن أبي ذر، قال: سألت رسول الله ﷺ عن قول الله تعالى: {وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ هَآ ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ} [يس: ٣٨]؟ قال: (مستقرها تحت العرش) (٢٠).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: (ليس أحدٌ يجاسب إلا هلك) قالت: قلت: يا رسول الله جعلني الله فداءك، أليس يقول الله عز وجل: {فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (٧) فَسَوْفَ يُجَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا} [الانشقاق: ٧-٨]؟ قال: (ذاك العرض يعرضون، ومن نوقش الحساب هلك) (٢١).

الثاني: عموم سته صلى الله عليه وسلم، فإنها بيان للقرآن، وقد يستفاد منها في ترجيح معنى على آخر، أو تأكيد لمعنى من المعاني، أو غير ذلك.

ومن أمثلة ذلك:

عن عائشة، قالت: قال رسول الله ﷺ: (الماهر بالقرآن مع السفارة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه، وهو عليه شاق، له أجران) (٢٢).

فهذا الحديث قد يستخدم كمرجح أن المراد بالسفيرة الملائكة في قوله تعالى: {بأيدي سفرة (١٥) كرام بررة} [عبس: ١٥-١٦]، وقد وقع خلاف في المراد بالسفيرة في الآية (٢٣).

(١٩) رواه البخاري: (٤٦٤٧، وأطرافه في ٤٤٧٤).

(٢٠) رواه البخاري: (٤٨٠٣، وأطرافه في ٣١٩٩)، ومسلم: (١٥٩)، واللفظ للبخاري.

(٢١) رواه البخاري: (٤٩٣٩، وأطرافه في ١٠٣)، ومسلم: (٢٨٧٦).

(٢٢) رواه البخاري (٤٩٣٧)، ومسلم (٧٩٨).

(٢٣) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للإمام الطبري: (١٠٨ / ٢٤).



وينبغي التفريق بين هذين النوعين، فإن الثاني ليس في قوة الأول، فقد يكون الربط بين الآية والحديث مما يخالف فيه المجتهد، وهو - على كل حال - داخل في تفسير من فسر- به، فإن كان الربط من صحابي فهو تفسير صحابي، وإن يكن تابعياً فهو تفسير تابعي.. وهكذا.

• وقد حرص الصحابة في هذه المرحلة على أخذ التفسير عن النبي ﷺ، قال ابن مسعود رضي الله عنه: (كان الرجل منا إذا تعلم عشر- آياتٍ، لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن)^(٢٤)، وعن أبي عبد الرحمن السلمي، قال: (حدثنا الذين، كانوا يقرئوننا أنهم كانوا يستقرئون من النبي ﷺ، فكانوا إذا تعلموا عشر آياتٍ، لم يخلفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل، فتعلمنا القرآن والعمل جميعاً)^(٢٥).

• وقد كان الصحابة يجتهدون في فهم القرآن في العهد النبوي الشريف، وقد أقرهم النبي ﷺ على اجتهادهم، واستدرك على بعضهم أحياناً.

فما وقع من الاستدراك على فهمهم، وتصويبه، ما ورد عن عدي بن حاتم رضي الله عنه، قال: لما نزلت: {وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتَمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ} [البقرة: ١٨٧]، قال له عدي بن حاتم: يا رسول الله، إني أجعل تحت وسادتي عقالين: عقالاً أبيض وعقالاً أسود، أعرف الليل من النهار، فقال رسول الله ﷺ: (إن وسادتك لعريض، إنها هو سواد الليل، وبياض النهار)^(٢٦).

فقد أقره النبي ﷺ على اجتهاده في فهم القرآن وفق معهوده من لغة العرب، لكنه استدرك عليه هذا الفهم وصوبه.

(٢٤) رواه الطبري: (١/٧٤، ٨٣)، والحاكم: (١/٧٤٣)، وصححه كلاهما.

(٢٥) رواه الطبري: (١/٧٤)، وصححه أحمد شاكر.

(٢٦) رواه البخاري: (٤٥٠٩)، وأطرافه في (١٩١٦)، ومسلم: (١٠٩٠).



ويمكننا تلخيص أبرز مراحل علم التفسير في عهد النبي صلى الله عليه وسلم في النقاط الآتية:

- (١) أن النبي ﷺ تعرض لبعض القرآن بالتفسير المباشر، وغير المباشر.
- (٢) أن النبي ﷺ شرع لأصحابه الاجتهاد في فهم القرآن، عبر أصول نص عليها، أو أشار إليها.
- (٣) أن الصحابة اجتهدوا في فهم القرآن الكريم، وأقر النبي ﷺ اجتهادهم تارةً، وصوّبه أخرى.
- (٤) كان علم التفسير في هذه المرحلة يُتلقى بالمشافهة، ولم يظهر تدوين له إلا مسائل يسيرة (٢٧).

(٢٧) كما في صحيفة عبد الله بن عمرو، وقد أخرج الإمام أحمد هذه الصحيفة في مسنده، في مسند عبد الله بن عمرو بن العاص، وقال شيخ الإسلام ملخصاً ما قيل حول هذه الصحيفة: (وقد روي أن عبد الله بن عمرو كان يكتب ما سمع من النبي صلى الله عليه وسلم، فقال له بعض الناس: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يتكلم في الغضب، فلا تكتب كل ما تسمع، فسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال: اكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج من بينها إلا حق - يعني شفّيته الكريمتين - . وقد ثبت عن أبي هريرة أنه قال: لم يكن أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحفظ مني إلا عبد الله بن عمرو؛ فإنه كان يكتب بيده ويعي بقلبه، وكنت أعي بقلبي ولا أكتب بيدي . وكان عند آل عبد الله بن عمرو بن العاص نسخة كتبها عن النبي صلى الله عليه وسلم، وبهذا طعن بعض الناس في حديث عمرو بن شعيب عن أبيه شعيب عن جده وقالوا: هي نسخة. - وشعيب هو: شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص - . وقالوا عن جده الأدنى محمد: فهو مرسل؛ فإنه لم يدرك النبي صلى الله عليه وسلم وإن عنى جده الأعلى فهو منقطع؛ فإن شعيباً لم يدركه.

وأما أئمة الإسلام وجمهور العلماء فيحتجون بحديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده إذا صح النقل إليه مثل مالك بن أنس وسفيان بن عيينة ونحوهما، ومثل الشافعي وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وغيرهم، قالوا: الجده هو عبد الله؛ فإنه يجيء مسمى، ومحمد أدركه، قالوا: وإذا كانت نسخة مكتوبة من عهد النبي صلى الله عليه وسلم كان هذا أوكد لها وأدل على صحتها؛ ولهذا كان في نسخة عمرو بن شعيب من الأحاديث الفقهية التي فيها مقدرات ما احتاج إليه عامة علماء الإسلام)). مجموع الفتاوى: (١٨/٧ - ٩).

ثانياً: التفسير في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه (١٣ هـ).

جُمع القرآن بين دفتين في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ونظرًا لانشغال أبي بكر رضي الله عنه بأعباء الخلافة فإن ما نقل عنه من العلم قليل، وبالتالي: فإن ما نقل عنه من التفسير قليل أيضًا.

فلا يُعرف أن أبا بكر رضي الله عنه تصدى للتفسير، غير أنه ثبت عنه اجتهاده في فهم القرآن، وتصديه للخطأ الذي حصل في فهم بعض الناس للقرآن في عهده، ومن ذلك:

ما روي عنه في التفسير أنه قال في الكلاله: (أقول فيها برأبي، فإن كان صوابًا فمن الله: هو ما دون الولد والوالد) قال: فلما كان عمر رضي الله عنه، قال: (إني لأستحيي من الله أن أخالف أبا بكر^(٢٨))، ويؤخذ من هذا أن الصحابة فهموا جواز الاجتهاد في تفسير القرآن، وأن القرآن قابل للفهم عبر أدوات الاجتهاد وشروطه.

ومما ثبت عن الصديق في استدراك الخطأ = استدراكه رضي الله عنه على من فهم من قول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [المائدة: ١٠٥]، غير المعنى المراد من الآية.

فعن قيس بن أبي حازم، عن أبي بكر الصديق، أنه قال: يا أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية... وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن الناس إذا رأوا ظالمًا، فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقابٍ منه)^(٢٩).

^(٢٨) رواه الدارمي: (٢٩٧٢)، والطبري: (٤٥٧/٦)، وصححه الألباني إلى الشعبي في السلسلة الضعيفة: (٤٦٥٣)، إذ قال: «قد صح عن الشعبي أنه قال: سئل أبو بكر عن الكلاله...».

^(٢٩) رواه الإمام أحمد: (٢/١)، وأبو داود: (٤٣٤٠)، والترمذي: (٣٠٥٧)، وابن ماجه: (٤٠٠٥)، وصححه الترمذي والألباني.

وعليه: فإن أبرز ملامح التفسير في عهد أبي بكر، ما يلي:

- (١) الاجتهاد في تفسير القرآن.
- (٢) ظهور الخطأ في فهم القرآن، واستدراك الصحابة عليه.
- (٣) قلة المروي عن أبي بكر في التفسير لانشغاله بأعباء الخلافة.

ثالثاً: التفسير في عهد الفاروق عمر رضي الله عنه (١٣ - ٢٣ هـ).

يمكننا القول أن علم التفسير شهد ازدهاراً واسعاً في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، والسبب في ذلك أن التعليم المنظم ظهر في عهده رضي الله عنه، عبر الآليات التالية:

(١) بعث الصحابة إلى الأمصار.

فقد بعث عمر ببعض الصحابة إلى الأمصار الإسلامية، منهم: معاذ بن جبل، وأبو الدرداء، وعبادة بن الصامت، إلى الشام.

قال ابن سعد: (جمع القرآن في زمان النبي ﷺ خمسة من الأنصار: معاذ بن جبل وعبادة بن الصامت وأبي بن كعب وأبو أيوب وأبو الدرداء، فلما كان زمن عمر بن الخطاب كتب إليه يزيد بن أبي سفيان: إن أهل الشام قد كثروا وربلوا وملئوا المدائن، واحتاجوا إلى من يعلمهم القرآن ويفقههم، فأعني يا أمير المؤمنين برجال يعلمونهم، فدعا عمر أولئك الخمسة فقال لهم: إن إخوانكم من أهل الشام قد استعانوني بمن يعلمهم القرآن ويفقههم في الدين، فأعينوني رحمكم الله بثلاثة منكم، إن أحببتم فاستهموا، وإن انتدب ثلاثة منكم فليخرجوا، فقالوا: ما كنا لتساهم، هذا شيخ كبير لأبي أيوب وأما هذا فسقيم لأبي بن كعب فخرج معاذ وعبادة وأبو الدرداء، فقال عمر: ابدؤوا بحمص فإنكم ستجدون الناس على وجوه مختلفة، منهم من يلحن فإذا رأيت ذلك فوجهوا إليه طائفة من الناس فإذا رضيتم منهم فليقم بها واحد وليخرج واحد إلى دمشق والآخر إلى فلسطين. وقدموا حمص فكانوا بها حتى إذا رضوا من الناس أقام بها عبادة وخرج أبو الدرداء إلى دمشق ومعاذ إلى فلسطين، وأما معاذ فمات عام طاعون عمواس، وأما عبادة فصار بعد إلى فلسطين فمات بها، وأما أبو الدرداء فلم يزل بدمشق حتى مات) (٣٠).

(٣٠) الطبقات الكبرى: (٣٥٦/٢) (طبعة دار صادر).



وروى ابن سعد بسند رجاله ثقات^(٣١) عن عامرٍ أن مهاجر عبد الله بن مسعودٍ كان بحمص، فحدره عمر إلى الكوفة، وكتب إليهم: (إني والله الذي لا إله إلا هو آثرتكم به على نفسي، فخذوا منه)^(٣٢).

٢) المجالس العلمية العمرية.

اهتم عمر رضي الله عنه بعقد مجالس خاصة لتدارس القرآن المجيد، وكان يُدني من مجالسه من لهم اهتمامٌ وعلم بكتاب الله تعالى وتفسيره.

قال ابن زيدٍ في قوله تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ} [البقرة: ٢٠٦]، إلى قوله: {وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ} [البقرة: ٢٠٧]، قال: كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا صلى السبحة^(٣٣) وفرغ دخل مربدًا^(٣٤) له، فأرسل إلى فتیانٍ قد قرءوا القرآن، منهم ابن عباسٍ، وابن أخي عيينة، قال: فيأتون فيقرءون القرآن ويتدارسونه، فإذا كانت القائلة انصرف.

قال: فمروا بهذه الآية: {وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ} [البقرة: ٢٠٦]، إلى قوله: {وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ} [البقرة: ٢٠٧]، قال ابن زيدٍ: وهؤلاء المجاهدون في سبيل الله.

فقال ابن عباسٍ، لبعض من كان إلى جنبه: اقتتل الرجلان.

فسمع عمر ما قال، فقال: وأي شيءٍ قلت؟

قال: لا شيءٍ يا أمير المؤمنين.

قال: ماذا قلت؟ اقتتل الرجلان؟

(٣١) قاله الألباني في إرواء الغليل: (٨ / ٣٤٢).

(٣٢) الطبقات الكبرى: (٣ / ١٥٧).

(٣٣) أي: صلاة النافلة.

(٣٤) مرید الدار: ما ورائها من فضاء.



قال: فلما رأى ذلك ابن عباسٍ، قال: أرى هاهنا من إذا أمر بتقوى الله أخذته العزة بالإثم، وأرى من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله؛ يقوم هذا فيأمر هذا بتقوى الله، فإذا لم يقبل وأخذته العزة بالإثم، قال هذا: وأنا أشترى نفسي فقاتله، فاقتل الرجلان.
فقال عمر: لله بلادك يا ابن عباسٍ (٣٥).

وعن ابن عباس قال، قال: كان عمر يدخلني مع أشياخ بدرٍ، فقال بعضهم: لم تدخل هذا الفتى معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال: (إنه ممن قد علمتم) قال: فدعاهم ذات يومٍ ودعاني معهم قال: وما رأيتك دعاني يومئذٍ إلا ليريهم مني، فقال: ما تقولون في {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا} [النصر: ١-٢] حتى ختم السورة، فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وقال بعضهم: لا ندري، أو لم يقل بعضهم شيئاً.
فقال لي: يا ابن عباسٍ، أكذاك تقول؟ قلت: لا.

قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه الله له: إذا جاء نصر الله والفتح فتح مكة، فذاك علامة أجلك: فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً.
قال عمر: (ما أعلم منها إلا ما تعلم) (٣٦).

٣) التصدي للتعنت والتكلف في فهم القرآن.

ظهر السؤال عن بعض المشكل في القرآن تعنتاً من قبل بعض الناس، فتصدي لهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقصته مع صبيغ العراقي (٣٧) مشهورة، عن أبي عثمان، أن رجلاً كان من بني يربوعٍ، يقال له صبيغٌ، سأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن الذاريات والنازعات والمرسلات أو عن إحداهن، فقال له عمر: (ضع عن رأسك) فوضع عن رأسه فإذا له وفيرةٌ،

(٣٥) رواه الطبري: (٥٨٨/٣)، والحاكم: (٦٢٢/٣)، وصححه.

(٣٦) رواه البخاري: (٤٢٩٤)، وأطرافه في (٣٦٢٧).

(٣٧) وكان يسأل عن المشابهة ابتغاء الفتنة، انظر: مجموع الفتاوى: (٣١١/١٣).



فقال: (لو وجدتك مخلوقاً لضربت الذي فيه عيناك) قال: ثم كتب إلى أهل البصرة (أن لا تجالسوه) أو قال: (كتب إلينا أن لا تجالسوه)، قال: (فلو جلس إلينا ونحن مائةً لتفرقنا عنه) (٣٨).

وخلاصة ملامح التفسير في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

- ١) ظهور التعليم المنظم لعلم التفسير.
- ٢) المجالس العمرية العامة والخاصة المتعلقة بتفسير القرآن.
- ٣) ظهور بدايات البحث عن مشكل القرآن تعنتاً، وتصدي الصحابة له.
- ٤) قلة التدوين للتفسير في هذا العصر.

(٣٨) هذه القصة تروى مختصرة ومطولة، وهذا لفظ ابن عساکر: (٢٣ / ٤١٣)، وقال ابن كثير في تفسيره: (٧ / ٤١٤): «إن قصة صبيغ بن عسل مشهورة مع عمر».

رابعًا: عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه (٢٣ - ٣٥ هـ).

في عهد عثمان رضي الله عنه جُمع القرآن الجمع الثاني عبر أسس وقواعد وضعها عثمان رضي الله عنه، وتم إرسال نسخ إلى الأمصار المختلفة، واهتم عثمان رضي الله عنه بإقراء القرآن. ومن المعلوم أن الصحابة كانوا يجمعون مع الإقراء تعليم معاني القرآن، قال أبو عبد الرحمن السلمي: "حدثنا الذين كانوا يقرئوننا أنهم كانوا يستقرئون من النبي ﷺ، فكانوا إذا تعلموا عشر آياتٍ، لم يخلفوها حتى يعملوا بها فيها من العمل، فتعلمنا القرآن والعمل جميعًا" (٣٩). ومن اشتهر بالتفسير في هذا العصر، عبد الله بن مسعود، وأبو الدرداء، وأبي بن كعب. وما يشهد لذلك ما ورد عن مسروقٍ، قال: كان عبد الله "يقرأ علينا السورة، ثم يحدثنا فيها، ويفسرها عامة النهار" (٤٠)، وعن مسروقٍ، عن عبد الله، قال: "والذي لا إله غيره ما من كتاب الله سورةٌ إلا أنا أعلم حيث نزلت، وما من آيةٍ إلا أنا أعلم فيما أنزلت، ولو أعلم أحدًا هو أعلم بكتاب الله مني، تبلغه الإبل، لركبت إليه" (٤١).

وكان حريصا على إيصال معاني كلام الله، ويجتهد في تفسيره بطرائق عده، ومنها ما رواه الطبري بسنده عن قتادة، قال: "ذكر لنا أن ابن مسعودٍ، أهديت إليه سقايةً من ذهبٍ وفضةٍ، فأمر بأحدودٍ فخذ في الأرض، ثم قذف فيه من جزل حطبٍ، ثم قذف فيه تلك السقاية، حتى إذا أزيدت وانماعت قال لغلامه: ادع من يحضرنا من أهل الكوفة، فدعا رهطًا، فلما دخلوا عليه قال: أترون هذا؟ قالوا: نعم، قال: ما رأينا في الدنيا شبيهًا للمهل أدنى من هذا الذهب والفضة، حين أزيد وانماع" (٤٢).

(٣٩) رواه الطبري: (٧٤/١)، وصححه أحمد شاكر.

(٤٠) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: (٧٥/١).

(٤١) رواه البخاري: (٥٠٠٢)، ومسلم: (٢٤٦٣)، واللفظ له.

(٤٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: (٢٤٨/١٥).

ويمكننا القول أن خلاصة ملامح التفسير في عهد عثمان رضي الله عنه مما يتعلق بالتفسير:

(١) أن التفسير ارتبط بالإقراء.

(٢) أن ابن عباس اشتهر في عهد عثمان رضي الله عنه.

خامسًا: عهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه (٣٥ - ٤٠ هـ).

كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه كإخوانه من الخلفاء عالمًا بالقرآن، وكان له علم بالتفسير، وحرصٌ عليه، واهتمامٌ أن يستكمل الناس أدواته وشروطه، عن أبي عبد الرحمن السلمي، قال: انتهى علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى رجلٍ يقص فقال: (أعلمت الناسخ من المنسوخ؟) قال: لا قال: (هلكت وأهلكت) (٤٣).

والناسخ عند علي رضي الله عنه يشتمل على تخصيص العام، وتقييد المطلق، وبيان المجمل، ورفع الحكم الشرعي... الخ.

وظهر في زمن علي رضي الله عنه السؤال الذي يجر إلى التعنت والتكلف، ولم يكن موقفه في ذلك كموقف عمر رضي الله عنهما، لطبيعة العصر. المختلفة، ومن ذلك ما كان يسأله عبد الله بن الكواء الخارجي، ومن أسئلته ما ذكره أبو الطفيل عامر بن واثلة قال: سمعت عليا رضي الله عنه قام فقال: (سلوني قبل أن تفقدوني ولن تسألوا بعدي مثلي) فقام ابن الكواء فقال: من { الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ } [إبراهيم: ٢٨]؟ قال: (منافقو قريش)، قال: فمن { الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا } [الكهف: ١٠٤]؟ قال: (منهم أهل حروراء) (٤٤).

وتعددت أوجه التفسير في عهد علي، وظهرت أوجه الترجيح بين الأقوال المختلفة، كما ورد عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، حدثه قال: "بينما أنا في الحجر جالس، أتاني رجلٌ يسأل عن { وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا } [العاديات: ١] فقلت له: الخيل حين تغير في سبيل الله، ثم تأوي إلى الليل، فيصنعون طعامهم، ويورون نارهم. فانفتل عني، فذهب إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه

(٤٣) رواه ابن أبي شيبة: (٢٦٧١٦)، والبيهقي: (١١٧/١٠)، والناسخ عند علي رضي الله عنه يشمل تخصيص العام، وتقييد المطلق، وبيان المجمل، ورفع الحكم الشرعي... الخ.

(٤٤) رواه الحاكم: (٣٨٣/٢) بهذا اللفظ، وصححه، و(٥٠٦/٢) مطولاً بأسئلة أكثر من هذه، وصححه.



وهو تحت سقاية زمزم، فسأله عن {وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا} [العاديات: ١]، فقال: سألت عنها أحدًا قبلي؟ قال: نعم، سألت عنها ابن عباسٍ، فقال: الخيل حين تغير في سبيل الله.
قال: اذهب فادعه لي؛ فلما وقفت على رأسه قال: تفتي الناس بما لا علم لك به، والله لكانت أول غزوة في الإسلام لبدْرٍ، وما كان معنا إلا فرسان: فرسٌ للزبير، وفرسٌ للمقداد فكيف تكون العاديات ضبْحًا؟! إنما العاديات ضبْحًا من عرفة إلى مزدلفة إلى منى.

قال ابن عباسٍ: فنزعت عن قولي، ورجعت إلى الذي قال عليُّ رضي الله عنه " (٤٥).

ومن أساليبه الدقيقة التي أثارها في تفسيره = التنبية على ضابط قبول أخبار السابقين، وقد ورد ذلك في سؤاله لحبر يهودي، فعن سعيد بن المسيب قال: قال عليُّ رضي الله عنه لرجلٍ من اليهود: (أين جهنم؟) فقال: البحر، فقال: (ما أراه إلا صادقًا)، ثم تلا {وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ} [الطور: ٦]، {وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ} [التكوير: ٦] (٤٦).

وإنما قبل ما قاله اليهودي لما وجد له من شاهد من كتاب الله تعالى، وهذا الضابط في قبول هذه الأخبار مما وقع عليه الاتفاق.

➤ وبرز في وقته خطأ بعض المسلمين في فهم القرآن وتفسيره، وهم الخوارج، وقد أرسل لهم ابن عمه عبد الله بن العباس ليناظرهم، وقد بين لهم ابن عباس خطأهم في فهم القرآن (٤٧).

➤ وكان مما وقع من التفسير في عصره أنه لما أرسل ابن عمه عبد الله بن العباس ليكون أميرًا على الناس في الحج = ففسر- للناس شيئًا من القرآن، فعن الأعمش، عن أبي وائلٍ

(٤٥) رواه الحاكم: (٢ / ١١٥)، وصححه.

(٤٦) رواه الطبري: (٢١ / ٥٦٧).

(٤٧) أخرج هذه الواقعة عبد الرزاق: (١٨٦٧٨)، ومن طريقه الطبراني: (١٠ / ٣١٣)، والحاكم: (٢ / ١٥٠)، وصححه، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ٢٤١): «رجاله رجال الصحيح».



شقيق بن سلمة، قال: "قرأ ابن عباسٍ سورة البقرة، فجعل يفسرها، فقال رجلٌ: لو سمعت هذا الديلم لأسلمت" (٤٨).

وعنه، عن شقيق، قال: استعمل عليُّ ابن عباسٍ على الحج، قال: "فخطب الناس خطبةً، لو سمعها الترك والروم لأسلموا، ثم قرأ عليهم سورة النور، فجعل يفسرها" (٤٩). وهذا يدل على حرص الصحابة على إيصال معاني القرآن للناس، وكان اجتماع الناس في هذا الموسم المبارك فرصة لبيان معاني القرآن كما هو ظاهر من هذه الرواية.

ويمكننا رصد أهم ملامح تطور علم التفسير في هذا العصر، فيما يلي:

- ١) بروز الأقوال التفسيرية المبنية على المعتقد الباطل، وتصدي الصحابة لها.
- ٢) ظهور الترجيح بين الأقوال المختلفة للتفسير.
- ٣) الحرص على تبليغ معاني القرآن للناس في المواسم والجوامع.

وبهذه الفترة تنتهي حقبة الخلافة الراشدة، وقد ظهر لنا أن علم التفسير فيها تتمع بمزايا متعددة،

من أهمها:

- ١) أنه ظهر كعلم مستقل.
- ٢) قيامه على الرواية والمشافهة دون التدوين.
- ٣) امتزجت علوم القرآن المختلفة بعلم التفسير.
- ٤) ظهور الأوجه المتعددة في التفسير، وبعض طرق الترجيح بينها.
- ٥) ظهور الانحراف في التفسير، وتصدي الصحابة له.

(٤٨) رواه الطبري: (١ / ٥٧)، وصححه ابن حجر في فتح الباري: (٧ / ١٠٠).

(٤٩) رواه الطبري: (١ / ٧٥)، والحاكم: (٣ / ٦١٨)، وصححه.

سادسًا: عهد صغار الصحابة (٤١ - ٦٨ هـ).

وكان العلم البارز في هذا العصر، هو الخبر ترجمان القرآن: عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، وقد نبغ ابن عباس رضي الله عنه قبل ذلك، وظهر نبوغه في عهد الخلفاء الراشدين، ولا أدل على ذلك من إدخال عمر رضي الله عنه له مع أهل الشورى، وتبجيل عثمان له، واستعانة علي به رضي الله عنهم جميعًا، ومن أسباب نبوغه = دعاء النبي ﷺ له بأن يفقهه الله في الدين، فعن سعيد بن جبير، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ وضع يده على كتفي - أو على منكبي، شك سعيد - ثم قال: (اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل)^(٥٠)، وقد شهد له أكابر الصحابة، وعلمائهم برسوخ قدمه في علم التفسير، فعن مسروق، عن عبد الله بن مسعود، قال: (نعم ترجمان القرآن ابن عباس)^(٥١).

وقد تصدر لتعليم القرآن، ومن ذلك: عن عكرمة، قال: (كان ابن عباس رضي الله عنهما، يضع في رجلي الكبل، ويعلمني القرآن والسنن)^(٥٢)، وعن ابن أبي مليكة، قال: (رأيت مجاهدًا يسأل ابن عباس عن تفسير القرآن ومعه الواحد فيقول له ابن عباس: اكتب، قال: حتى سأله عن التفسير كله)^(٥٣)، وعن مجاهد، قال: (عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات، من فاتحته إلى خاتمته، أوقفته عند كل آية منه، وأسأله عنها)^(٥٤).

فيظهر من هذه الآثار الاعتناء الخاص لابن عباس رضي الله عنهما بعلم التفسير، وتدريسه، حتى يسأله أحد طلابه عن كل آية احتاج إلى تفسيرها، وليس ذلك في مرة واحدة، بل في أكثر من مرة.

(٥٠) رواه الإمام أحمد: (١/ ٢٦٦)، وابن حبان: (٧٠٥)، وصححه هو، والألباني في السلسلة الصحيحة: (١٧٣/٦).

(٥١) رواه الحاكم: (٣/ ٦١٨)، وصححه.

(٥٢) رواه الدارمي: (٥٥٣)، وصححه حسين أسد (محققه).

(٥٣) رواه الطبري: (١/ ٨٥).

(٥٤) رواه الطبري: (١/ ٨٥)، والدارمي: (١١٢٠)، وصححه حسين أسد (محققه).

سابعًا: ما بين (سنة ٦٧) وفاة ابن عباس إلى سنة (٩٣ هـ).

في هذه الفترة لم يبرز من الصحابة في التفسير من يمكن تصنيفه كمفسر، وإن ظهر بعض فقهاء الصحابة، لكن المروي عنهم في التفسير قليل.

لكن برز في هذه الفترة بعض أتباع الصحابة ممن اعتنى بالتفسير، بل وظهر تدوين التفسير في تلك الفترة، وكان علم التفسير من العلوم المستقلة المتميزة.

فقد طلب عبد الملك بن مروان (٨٦ هـ) من سعيد ابن جبير أن يؤلف له كتابًا في التفسير. وأول تدوين متميز وخاص في التفسير = هو (تفسير مجاهد)، والذي كتبه عن ابن عباس قبل وفاته.

وفي تلك الفترة ظهر التحرز في علم التفسير في طبقة تلاميذ ابن مسعود وتلاميذ تلاميذه، ومنه قول مسروق بن الأجدع (٦٣ هـ): (اتقوا التفسير؛ فإنها هو الرواية على الله عز وجل)^(٥٥)، وعن ابن سيرين قال: سألت عبيدة السلماني عن آية، قال: (عليك بالسداد فقد ذهب الذين علموا فيما أنزل القرآن)^(٥٦).

وقد نقل هذا عن غير هؤلاء، ومن ذلك: في الكوفة علقمة (٦٢ هـ)، ومسروق بن الأجدع (٦٣ هـ)، وعمرو بن شراحيل (٦٢ هـ)، وعبيدة السلماني (٧٢ هـ)، والأسود بن يزيد النخعي (٧٥ هـ)، وغيرهم.

ومن طبقة تلاميذ تلاميذ ابن مسعود، ظهر عالمان، وهما الشعبي، وإبراهيم النخعي، ومما ينقل عن الشعبي قوله: (والله ما من آية إلا قد سألت عنها، ولكنها الرواية عن الله)^(٥٧)، وقال إبراهيم: (كان أصحابنا يتقون التفسير ويهابونه)^(٥٨).

(٥٥) رواه أبو عبيد في فضائل القرآن: (٦٩٤)، وصححه ابن كثير في مقدمة تفسيره: (١٣ / ١).

(٥٦) رواه الطبري: (٨٠ / ١)، وصححه ابن كثير في مقدمة تفسيره: (١٣ / ١).

(٥٧) رواه الطبري: (٨١ / ١)، وصححه ابن كثير في مقدمة تفسيره: (١٣ / ١).

(٥٨) رواه أبو عبيد في فضائل القرآن: (٦٩٦)، وصححه ابن كثير في مقدمة تفسيره: (١٣ / ١).



بل وظهر منهم لوم على أصحاب ابن عباس ممن اشتهروا بالتفسير، وكان لهم عناية به، كالسدي (١٢٨ هـ)، وأبي صالح باذان (١٢١ هـ)، وكانا بالكوفة.

وكان للشعبي موقف مع هذين العلمين، فكان الشعبي يمر بأبي صالح باذان، فيأخذ بأذنه فيعركها، ويقول: (تفسر القرآن وأنت لا تقرأ القرآن) (٥٩).

وعن صالح بن مسلم، قال: مر الشعبي على السدي وهو يفسر، فقال: (لأن يضرب على استك بالطبل، خيرٌ لك من مجلسك هذا) (٦٠).

لكن على أية حال: ظهر علم التفسير، ودونه الناس، وممن كتب التفسير في هذه المرحلة: مجاهد، وسعيد بن جبير، والضحاك، والسدي، وغيرهم.

وعن ابن أبي مليكة، قال: (رأيت مجاهدًا يسأل ابن عباسٍ عن تفسير القرآن ومعه الواحد فيقول له ابن عباسٍ: اكتب، قال: حتى سأله عن التفسير كله) (٦١).

(٥٩) رواه الطبري: (٨٦/١).

(٦٠) رواه الطبري: (٨٧/١).

(٦١) رواه الطبري: (٨٥/١).

ثامنًا: كتب التفسير وما يتعلق بها حتى القرن الرابع الهجري.

سبق أن تدوين التفسير ظهر في طبقة التابعين، وأن أول تدوين متميز وخاص في التفسير = هو (تفسير مجاهد)، والذي كتبه عن ابن عباس قبل وفاته.

وفي هذه الفترة برزت الكتابة في التفسير، فصنف الأئمة كسعيد بن جبير (٩٤ هـ)، ومجاهد بن جبر (١٠٤ هـ)، والحسن البصري (١١٠ هـ)، وكتب عطية العوفي (١١١ هـ) نسخة يرويها عن ابن عباس (٦٨ هـ). وقد تناقلها عن عطية (١١١ هـ) بيت العوفيين، وهي سلسلة ضعيفة الإسناد، لكنهم يروون كتابًا، فيرتقي بهذا حال النسخة، لأنها لا تعتمد الحفظ، وكتب السدي صحيفة في التفسير يرويها عن ابن عباس وابن مسعود وناس من الصحابة، وقد رواها عنه أسباط بن نصر، وكتب علي بن أبي طلحة الوالبي (١٤٣ هـ) صحيفته المشهورة التي فيها تفسير عبد الله بن عباس (٦٨ هـ)، وألف مقاتل بن سليمان (١٥٠ هـ) كتابًا، ويحيى بن سلام البصري (٢٠٠ هـ)، وبعض هذه الكتب مطبوعة متداولة، كتفسير مقاتل، وتفسير الثوري (١٦١ هـ)، وبعض تفسير القرآن ليحيى بن سلام البصري (ت: ٢٠٠)، ومختصره.

وظهرت الكتب المشاركة في علم التفسير إلى نهاية القرن الثاني، ومن هذه الكتب كتاب تفسير غريب القرآن المنسوب إلى زيد بن علي الذي تنسب إليه الزيدية المتوفى سنة (١٢٠ هـ)، وهذا الكتاب مطبوع وهو مرتب على حسب السور^(٦٢)، والذي روى هذا الكتاب، هو عمرو بن خالد الواسطي، وهو كذاب متروك الحديث، ولا تعرف رواية هذا الكتاب إلا من طريق هذا الكذاب، ولا يبعد أنه هو الذي صنع هذا الكتاب وأضاف إليه ما وجده من تفسيرات^(٦٣).

وكتب الوجوه والنظائر، ومن الكتب المطبوعة كتاب مقاتل بن سليمان، وكتاب هارون الأعمور، وكتاب يحيى بن سلام المسمى (التصارييف)، وهذه الكتب الثلاثة مطبوعة.

(٦٢) وقد حققه أحد الزيدية المعاصرين، ونسب الكتاب إلى زيد.

(٦٣) مما يستأنس به أن الكتاب من صنع هذا المتأخر، أنه يرد أحيانًا في بعض المواطن أنه يقول: قال زيد عليه السلام مع أن الكتاب كله لزيد، وهذا ليس تأكيدًا إنما من باب الاستئناس.

وأما كتب التفسير في القرن الثالث الهجري:

فإن الملاحظ أنه بتتبع أعلام هذا العصر. (القرن الثالث الهجري) من المفسرين، نلاحظ أنه قد غلب الطابع النقلي على كتب التفسير عندهم، ولم يظهر لي أحد أعلام أهل السنة ممن كان يوصف بأنه مفسراً، بمعنى أنه قد استقل للتفسير، والموضوع يحتاج إلى بحث فهذا الكلام ليس فصلاً في القضية.

ومن أمثلة ما دون في التفسير في هذه المرحلة: تفسير عبد الرزاق الصنعاني (٢١١هـ)، وهو مطبوع متداول، وتفسير القرآن للفضل بن دكين (٢١٩هـ)، وتفسير أبي بكر عبد الله بن الزبير الحميدي (٢١٩هـ)، وتفسير آدم بن أبي إياس (٢٢٠هـ)، وتفسير سنيد بن داوود أو الحسين بن داوود (٢٢٦هـ)، وتفسير عبد الغني بن سعيد الثقفي (٢٢٩هـ)، وتفسير عبد الله بن محمد بن أبي شيبة (٢٣٥هـ)، وتفسير إسحاق بن راهويه (٢٨٣هـ)، وتفسير عثمان بن أبي شيبة (٢٣٩هـ)، وتفسير أحمد بن حنبل (٢٤١هـ)، وتفسير عبد بن حميد الكشي (٢٤٩هـ)، وتفسير عبد الله الدارمي (٢٥٥هـ)، وتفسير الإمام البخاري (٢٥٦هـ)، وتفسير أبي سعيد الأشج (٢٥٧هـ)، وتفسير بقي بن مخلد (٢٧٦هـ).

وهؤلاء الأعلام لا تجد في كتب التفسير المتأخرة من ينقل قولاً لهم في التفسير، إلا على وجه القلة، لأن الغالب على هذه الطبقة = جمع المرويات.

ويلاحظ في هذه الفترة (فترة نهاية القرن الثالث): أن علم التفسير دخل على أنه باب من أبواب الكتب الحديثية، فمثلاً: نجد سنن سعيد بن منصور فيها كتاب التفسير، صحيح البخاري فيه كتاب التفسير، سنن الترمذي فيها كتاب التفسير.

وأما كتب التفسير في القرن الرابع الهجري:

في أواخر المائة الثالثة بدأ ظهور المصنفات الجوامع في التفسير، ومنها التي تستعمل جميع آلة المفسر، من أثر ولغة ورأي، فمن أشهر المصنفين فيه:

أبو جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة (٣١٠ هـ)، وأبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري المتوفى سنة (٣١٨ هـ)، وأبو محمد عبد الرحمن بن محمد أبي حاتم الرازي المتوفى سنة (٣٢٧ هـ).

وفي المائة الرابعة بدأ التفسير بالرأي يشيع، وكان وجوده قبل ذلك قليلاً، وظهرت كذلك مشاركات بعض أهل البدع فيه على طرقتهم في نصر آرائهم، كالمعتزلة، والشيعة.

وفي هذا الوقت وبعده كثر التصنيف في التفسير، حتى فاقت المصنفات فيه الحصر، كما هو الشأن في سائر الفنون، وتنوعت فيه المسالك بين اختصار وتطويل، واتباع وابتداع، وتوسع الناس فيه بالرأي، بين محمود ومذموم.

ولم يخل قرن من القرون إلى عصرنا^(٦٤) = إلا وفيه مؤلفات عديدة في علم التفسير، وقد اختلفت مناهجها، وهو ما سنعرفه في الحديث عن التعامل مع كتب التفسير.

(٦٤) انظر القائمة التي أعدها الشيخ الداخل، ((كتب التفسير المطبوعة .. مرتبة على القرون)): <http://jamharah.net/showthread.php?t=18195>.



المحور الرابع

كتب التفسير.. معلوماتها.. التعريف بأشهرها

يقول الإمام ابن جزى الكلبي ملخصاً جملة من تاريخ التفسير، ومعرفاً بأشهر رجاله وكتبه - إلى عصره - : "اعلم أن السلف الصالح انقسموا على فرقتين: فمنهم من فسر القرآن وتكلم في معانيه وهم الأكثرون، منهم من توقف عن الكلام فيه احتياطاً، لما ورد من التشديد في ذلك، وقد قالت عائشة رضي الله عنها: ما كان رسول الله ﷺ يفسر من القرآن إلا آيات تعد علمه إياهن جبريل، وقال صلى الله عليه وسلم: «من قال في القرآن برأيه وأصاب فقد أخطأ». وتأول المفسرون حديث عائشة رضي الله عنه بأنها في مغيبات القرآن التي لا تعلم إلا بتوقيف من الله تعالى، وتأولوا الحديث الآخر بأنه فيمن تكلم في القرآن بغير علم ولا أدوات، لا فيمن تكلم فيما تقتضيه أدوات العلوم ونظر في أقوال العلماء المتقدمين، فإن هذا لم يقل في القرآن برأيه.

واعلم أن المفسرين على طبقات:

فالتبقة الأولى: الصحابة رضي الله عنهم، وأكثرهم كلاماً في التفسير: ابن عباس، وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يثني على تفسير ابن عباس ويقول: كأنما ينظر إلى الغيب من ستر رقيق، وقال ابن عباس: ما عندي من تفسير القرآن فهو عن علي بن أبي طالب.

ويتلوهما عبد الله بن مسعود، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن عمر بن الخطاب، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وكل ما جاء من التفسير عن الصحابة فهو حسن.

والتبقة الثانية: التابعون، وأحسنهم كلاماً في التفسير، الحسن بن أبي الحسن البصري وسعيد بن جبير، ومجاهد مولى ابن عباس، وعلقمة صاحب عبد الله بن مسعود، ويتلوهم عكرمة، وقتادة، والسدي، والضحاك بن مزاحم، وأبو صالح، وأبو العالية.

ثم حمل تفسير القرآن عدول كل خلف، وألف الناس فيه: كالمفضل، وعبد الرزاق، وعبد بن حميد، والبخاري، وعلي بن أبي طلحة، وغيرهم.



ثم إن محمد بن جرير الطبري جمع أقوال المفسرين، وأحسن النظر فيها. وممن صنف في التفسير أيضًا أبو بكر النقاش، والثعلبي، والماوردي إلا أن كلامهم يحتاج إلى تنقيح، وقد استدرك الناس على بعضهم.

وصنف أبو محمد بن قتيبة في غريب القرآن ومشكله وكثير من علومه. وصنف في معاني القرآن جماعة من النحويين كأبي إسحاق الزجاج، وأبي علي الفارسي، وأبي جعفر النحاس.

وأما أهل المغرب والأندلس فصنف القاضي منذر بن سعيد البلوطي كتابًا في غريب القرآن وتفسيره.

ثم صنف المقرئ أبو محمد مكي بن أبي طالب كتاب «الهداية في تفسير القرآن»، وكتابًا في غريب القرآن، وكتابًا في ناسخ القرآن ومنسوخه، وكتابًا في إعراب القرآن إلى غير ذلك من تأليفه، فإنها نحو ثمانين تأليفًا، أكثرها في علوم القرآن من القراءات والتفسير وغير ذلك.

وأما أبو عمرو الداني فتأليفه تنيف على مائة وعشرين إلا أن أكثرها في القراءات ولم يؤلف في التفسير إلا قليلًا.

وأما أبو العباس المهدي فمتمقن التأليف، حسن الترتيب، جامع لفنون علوم القرآن. ثم جاء القاضيان أبو بكر بن العربي، وأبو محمد عبد الحق بن عطية فأبدع كل واحدٍ وأجمل، واحتفل وأكمل، فأما ابن العربي فصنف كتاب «أنوار الفجر» في غاية الاحتفال والجمع لعلوم القرآن، فلما تلف تلافاه بكتاب «قانون التأويل» إلا أنه اخترمته المنية قبل تخليصه وتلخيصه، وألف في سائر علوم القرآن تأليف مفيدة.

وأما ابن عطية فكتابه في التفسير أحسن التأليف وأعدلها، فإنه اطلع على تأليف من كان قبله فهذبها ولخصها، وهو مع ذلك حسن العبارة، مسدد النظر، محافظ على السنة.



ثم ختم علم القرآن بالأندلس وسائر المغرب بشيخنا الأستاذ أبي جعفر بن الزبير، ولقد قطع عمره في خدمة القرآن، وآتاه الله بسطة في علمه، وقوة في فهمه، وله فيه تحقيق، ونظر دقيق. ومما بأيدينا من تأليف أهل المشرق تفسير أبي القاسم الزمخشري، وأبي الفضل الغزنوي، وأبي الفضل بن الخطيب.

فأما الزمخشري، فمسدد النظر، بارع في الإعراب، متقن في علم البيان، إلا أنه ملأ كتابه من مذهب المعتزلة ونصرهم، وحمل آيات القرآن على طريقتهم، فتكدر صفوه، وتمرر حلوه، فخذ منه ما صفا، ودع ما كدر.

وأما الغزنوي^(٦٥)، فكتابه مختصر جامع، وفيه من التصوف نكت بديعة. وأما ابن الخطيب، فتضمن كتابه ما في كتاب الزمخشري، وزاد عليه إشباع الكلام في قواعد علم الكلام، ونمّقه بترتيب المسائل، وتدقيق النظر في بعض المواضع، وهو على الجملة كتاب كبير الجرم، وربما احتاج إلى تنخيل وتلخيص، والله ينفع الجميع بخدمة كتابه، ويجزيهم أفضل ثوابه^(٦٦).

وتاريخ علم التفسير حافل طويل، وقد حاول السيوطي رحمه الله (٩١١هـ) أن يذكر شيئاً من تاريخ التأليف في هذا الجانب وعناية الأمة به في مقدمة حاشيته على تفسير البيضاوي، التي سماها: "نواهد الأبقار وشوارد الأفكار"، والتي رصد في مقدمتها تاريخ التأليف في علم التفسير وعناية العلماء به^(٦٧).

ثم جاء الحاج خليفة (١٠٦٧هـ) وألف كتاباً سماه: "كشف الظنون"، جمع فيه أسماء الكتب المؤلفة في العلوم الإسلامية والعربية ونبذة عن محتوياتها، وأخذ ما قاله السيوطي في مقدمة

(٦٥) واسمه: ((تفسير الفقهاء وتكذيب السفهاء)).

(٦٦) التسهيل: (١/ ٧٤ - ٨١)، وانظر: شرح مقدمة ابن جزي، د. مساعد الطيار: (١٩٠).

(٦٧) انظر: مقدمة نواهد الأبقار: (٦٨٢ - ٦٩٣).



حاشيته على تفسير البيضاوي كاملاً ثم زاد عليه، مع إفادته كذلك من مقدمة تفسير الثعلبي، الذي وصف عددًا من التفاسير وكتب غريب القرآن ومُشكّله^(٦٨).

لقد ظهرت بركة القرآن في قيام أهل الإسلام بفهمه، وتقريب فهمه للناس في كل عصر، ونتيجة لذلك تنوعت كتب التفسير، وكثرت، وتعددت مناهجها واتجاهاتها، إذ كل العلوم القائمة في عصور الإسلام لها بالقرآن تعلق.

وكتب التفسير منها ما هو مفقود لا نعلم عنه شيئاً إلا ما نقل منه قبل الفقد، أو ما يذكره بعض العلماء من أسماء الكتب، ومنها ما هو مخطوط لم يطبع بعد، ومنها هو مطبوع بالفعل. وفي محاولة^(٦٩) لإحصاء كتب التفسير المطبوعة بالعربية فقط = تم إحصاء ما يربو على سبعة آلاف كتاب في شرح وتفسير كلام الله تعالى.

وبالنظر إلى كتب التفسير الموجودة بين أيدينا نجد أنها على قسمين:

(١) ما اعتني فيه بالنقل فقط.

وتوقف النقل في التفسير على الطبقات الثلاثة الأولى: (الصحابة - التابعون - أتباع التابعين)، ومن هذه الكتب: (تفسير ابن أبي حاتم الرازي)، (الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للسيوطي).

(٢) ما اعتني فيه بالنقل مع النقد والتمحيص.

وهي عامة كتب التفسير، فقد اعتنى العلماء بنقل كلام الصحابة والتابعين، وأئمة الدين، والتوفيق بين المؤلفات، والترجيح بين المختلفات.

ويلحق بهذا النوع التفاسير المختصرة، والتي لم يذكر أصحابها الأقوال معزوة إلا بقدر يسير، أو مع عدم نسبة القوال بالكلية لطبيعة الكتاب، وطبيعة الفئة الموجه إليها.

(٦٨) انظر: مقدمة تفسير الثعلبي، وكشف الظنون [(١/٤٢٧) - (٢/٤٣٢) - (١٤٧٥ - ١٤٨٠)].

(٦٩) انظر: ((فهرست مصنفات تفسير القرآن الكريم))، مجمع الملك فهد.



المعلومات الواردة في كتب التفسير

لقد تنوعت المعلومات الواردة في كتب التفسير، فلم يقتصر أغلبها على بيان القرآن فحسب، وإنما يستطرد في ذكر معلومات تتعلق بالتفسير تارةً، وتبعد عنه تارة أخرى، ويمكن تصنيف المعلومات إلى الآتي:

(١) تفسير القرآن.

أي: بيانه بياناً مباشراً، فيذكر المفسر معنى الآية، أو غريبها، والأقوال المذكورة فيها - إن وجدت - مع الجمع بينها، أو ترجيح المعنى الصواب.

(٢) معلومات في تقوية بيان المعنى.

كأن يذكر أصل الكلمة، والشواهد الشعرية عليه، أو يذكر بعض الأحاديث في تقوية المعنى المذكور.

(٣) الاستنباطات، واللطائف، والملح المتعلقة بالتفسير.

وهذه الاستنباطات إما أن تكون في الفقه، أو الآداب، أو غيرها.

(٤) معلومات علمية تتعلق بعلوم القرآن.

وهذه المعلومات المتعلقة بعلوم القرآن لا تفيد في بيان المعنى، فإنها إن أفادت في بيان المعنى فهي من علم التفسير^(٧٠).

(٧٠) لا بد من الانتباه إلى الفرق بين هذه المصطلحات:

١- علوم القرآن، ويطلق على جملة من المعلومات المتعلقة بالقرآن بوجه ما .

٢- علوم التفسير، وهي المعلومات المؤثرة في بيان المعنى، وعلوم التفسير جزء من علوم القرآن .

٣- أصول التفسير، وهي القواعد والأصول التي يستعملها المفسر للوصول للمعنى الصحيح، وإبطال المعنى الخطأ .

٥) معلومات علمية عامة من شتى المعارف الإسلامية وغيرها.

والغالب أنها لا صلة لها بعلم التفسير، لكن يذكرها المفسر لبروزه في هذا العلم، واختصاصه فيه، فالفقيه يورد مسائل علم الفقه، والنحوي يورد مسائل علم النحو، والمتكلم يورد مسائل علم الكلام، وهكذا غيرها من فروع العلوم، خصوصًا العلوم الإسلامية.

وبعد استعراض المعلومات التي في كتب التفسير، لا بد من العلم: **أن التفسير إنما هو شرح وبيان للقرآن الكريم، فما كان فيه بيان، فهو تفسير، وما كان خارجًا عن حد البيان، فإنه ليس من**

التفسير، وإن وجد في كتب المفسرين (٧١).

(٧١) مفهوم التفسير والتأويل، د. مساعد الطيار: (٥٧ - ٦٥).

التعامل مع كتب التفسير

كتب التفسير كسائر كتب العلم، تحتاج إلى مفاتيح لإحسان التعامل معها، وسنحاول وضع عدة قواعد للتعامل مع هذه الكتب لإحسان الاستفادة منها، ومن أهم تلك القواعد:

أولاً: تحديد الهدف.

تحرير المراد من القراءة في كتب التفسير، يعين على ضبط الاطلاع والقراءة في تلك الكتب، وعلى حسب علم القارئ واطلاعه، فإن معرفته بالمعلومات الواردة في كتب التفسير، واستفادته منها = ستتحدد وتنجلي.

- فمن أراد تمهيد الطريق لفقهِه كتاب الله عز وجل، فيكفيه أن يتعرف على غريب القرآن، وأن يدرك المعنى الإجمالي للآية، وعليه أن يهتم بالكتب التي تصور المعنى في ذهنه تصويرًا صحيحًا، ويتعد عن الكتب التي كتبت بالأسلوب الإنشائي؛ فإنها ستشوش عليه ذهنه، وعليه أن يضبط أسباب النزول، وإجماعات السلف في التفسير.

- فإن أراد الترقى، فعليه أن يلم بطرف صالح من دراسة علوم القرآن، وأصول التفسير، مع قدر صالح كذلك من دراسة اللغة العربية، إذ لا يخلو كتاب من كتب التفسير في هذه المرحلة من ذكر لمصطلح من المصطلحات المستعملة في اللغة بفروعها.

- فإن أراد الترقى، فعليه بمعرفة الأقاويل في التفسير، وضبط خلاف المفسرين في الآيات، مع التوسع في معرفة علوم القرآن، وأصول التفسير، وضبط أصول الشريعة بعامة.

- وبعد هذه المرحلة، سيكون الطالب قادرًا على معرفة أقوال السلف، مع ضبط ما حدث بعدهم من الأقوال الصحيحة المحتملة، وقادرًا على التقاط القواعد العلمية التي يستخدمها العلماء من أهل التحقيق، وطريقة وصولهم للمعاني، ومناقشتهم لاختلاف المفسرين، والترجيح بينهم.



ثانياً: معرفة منهج المفسر، وموارده.

وهذا مما يعين في فهم ما يستغلق من كلام المفسر، وكذلك الرجوع إلى موارد المفسر الأصلية إن أمكن، فقد يتبين من خلال ذلك خطأ فهم المفسر لكلام من نقل عنهم، كما أن بعض المفسرين يختصر بعض الأخبار والآثار مما قد ينبهم على من يقرأ كلامه، فإذا عاد إلى أصوله التي نقل منها = وضح هذا الإبهام، وغيرها من الفوائد المترتبة على ذلك (٧٢).

ثالثاً: الانتباه إلى مذهب المفسر.

يلاحظ أن المذهب الذي يميل إليه المفسر، سواء أكان فقهاً، أم نحواً، أم عقيدة = له أثر في اختيار المفسر للمعنى، ويظهر بهذا الاختيار تكلف المفسر وتعسفه، وتركه للظاهر من أجل أن لا يخالف ما يعتقده.

رابعاً: الانتباه إلى قراءة المفسر.

فإن معرفة قراءة المفسر تعين على فهم كلامه، ذكر الطبري عن مجاهد أنه كان يقول: {وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا} [الأنبياء: ٤٧] قال: جازينا بها، قال الطبري: "وقد ذكر أن مجاهداً إنما تأول قوله: {أَتَيْنَا بِهَا} [الأنبياء: ٤٧] على ما ذكرنا عنه، لأنه كان يقرأ ذلك: (أتينا بها) بمد الألف" (٧٣).

وقال الطبري: "عن مجاهد، في قوله: {وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُغَلَّ} [آل عمران: ١٦١] قال: «أن يخون» وقرأ ذلك آخرون: (وما كان لنبي أن يغل) بضم الياء وفتح الغين، وهي قراءة معظم قراء أهل المدينة والكوفة. واختلف قارئو ذلك كذلك في تأويله، فقال بعضهم: معناه: ما كان لنبي أن

(٧٢) الحاصل أن كتب التفسير تجد في مجموعة منها ما لا تجده في غيرها، فمنهم من اعتنى أكثر من غيره بتفسير القرآن بالقرآن، ومنهم من اعتنى بالسنة النبوية واستفاد منها في تفسيره، ومنهم من اعتنى بإيراد آثار السلف في التفسير، ومنهم من اعتنى بالأحكام، ومنهم من اعتنى باللطائف والنكات ... الخ.

(٧٣) تفسير الطبري: (١٦ / ٢٨٦).



يغله أصحابه، ثم أسقط الأصحاب، فبقي الفعل غير مسمى فاعله؛ وتأويله: وما كان لنبي أن يخان.. وقال آخرون منهم: معنى ذلك: وما كان لنبي أن يتهم بالغلول فيخون ويسرق" (٧٤).

وعدم الانتباه إلى قراءة المفسر من أسباب الغلط في القراءة والأداء، كمن يفسر (بضنين)، أي: بمتهم، ولم ينتبه إلى أن المفسر يفسر قراءة أخرى، وهي: (بظنين).

خامساً: الانتباه إلى تطبيقات علوم القرآن وأصول التفسير.

مما ينبغي الاهتمام به، الاهتمام بتطبيقات علوم القرآن في كتب المفسرين، وإنما نبهت على هذا لأن كتب التفسير تحتوي على تطبيقات لا توجد في مصنفات علوم القرآن (٧٥).

(٧٤) تفسير الطبري: (٦ / ١٩٩).

(٧٥) من الأمثلة التي ذكرها د. مساعد الطيار، أن "في تفسير قول الله تعالى: {وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين} [الأنفال: ٣٠]، قال ابن عطية (ت: ٥٤٢): ((وحكى الطبري عن عكرمة ومجاهد أن هذه الآية مكية... ويحتمل عندي قول عكرمة ومجاهد: (هذه مكية)، أن أشارا إلى القصة لا إلى الآية))، المحرر الوجيز: (٦ / ٢٧٢)، ط. قطر .

لو صحت هذه الفرضية التي ذكرها ابن عطية (ت: ٥٤٢)، لعلت كثيرا مما يشكل من عبارات السلف في علم المكى والمدني، وبهذا التخريج لا يخالف قول مجاهد (ت: ١٠٤) وعكرمة (ت: ١٠٥) من قال إنها مدنية؛ لأن هذا يحكي وقت النزول، وهما يحكيان وقت وقوع الحدث الذي نزلت الآية بشأنه، والله أعلم .

وفي تفسير قوله تعالى: {وإن يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم والله عليم حكيم} [الأنفال: ٧١]، قال ابن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٢): ((وأما تفسير الآية بقصة عبد الله بن أبي سرح، فينبغي أن تحرر.

فإن جلبت قصة عبد الله بن أبي سرح على أنها مثال، كما يمكن أن تجلب أمثلة في عصرنا من ذلك، فحسن.

وإن جلبت على أن الآية نزلت في ذلك، فخطأ؛ لأن ابن أبي سرح إنما تبين أمره في يوم مكة، وهذه الآية نزلت عقيب بدر))، (٦ / ٣٨٦).

إن تحرير ابن عطية (ت: ٥٤٢) يتعلق بنوعين من أنواع علوم القرآن: أسباب النزول، والمكي والمدني.

أما معرفة المكى والمدني، فتبين ضعف كون هذه الآية نزلت بشأن ابن أبي سرح، للعللة المذكورة. فيستفاد من معرفة تاريخ النزول في الترجيح بين الأقوال كما هو ظاهر، إذ بها ضعف قول، فترجح الآخر.

وأما أسباب النزول، فأفاد فيها: أن بعض ما يحكى منها إنما هو مثال في تفسير الآية، ولا يلزم منه قصر الآية عليه، كما لا يلزم أن يكون هو السبب المباشر لنزول الآية.



سادساً: نصائح عامة.

- ١) اقصد البحر واخل القنوات، وأعني بهذا الاعتناء بأصول الكتب لا مختصراتها؛ فإن كثيرا من المختصرات من شأنها، أن تبعد الاستفادة من منهجية التعامل مع مشكلات التفسير.
- ٢) الإشكالات في كتب التفسير كثيرة، ولذلك فلا بد من الحرص على تجاوز هذه الإشكالات، وعدم الإغراق فيها، بل كل بحسبه.
- ٣) لا بد من جعل كتاب يكون أصلاً تضاف إليه فوائد الكتب الأخرى أثناء القراءة، بحيث يستطيع أن يستظهر الأقوال وتوجيهها من خلاله.
- ٤) لا بد من العناية بالتعرف على منهج السلف، ومن سار على منهجهم من خلال التطبيقات العملية التي يقومون بها في تفاسيرهم، والاعتناء بتطبيق أصول التفسير على ما يقرأ من التفسير.

كما أفاد أنه يمكن أن تنزل الآيات على الواقع الذي تعيشه، ولو كانت بحكاية نزلت هذه الآية في كذا؛ لأن ذلك على سبيل التمثيل لما تشمله الآية، لا على أنه السبب في نزول الآية، والله أعلم."

التعريف بأشهر كتب التفسير ١٧-٤١

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للإمام ابن جرير الطبري (٣١٠هـ) (٧٦).

يعد كتاب "جامع البيان عن تأويل آي القرآن" للإمام محمد بن جرير الطبري (٣١٠هـ) من أفضل وأنفس كتب التفسير، بل هو كمال قال شيخ الإسلام: "وأما التفاسير التي في أيدي الناس، فأصحها تفسير محمد بن جرير الطبري" (٧٧).

وقد ذكر الطبري في مقدمة كتابه (٧٨) "أن أحق ما صرفت إلى علمه العناية، وبلغت في معرفته الغاية، ما كان لله في العلم به رضا، وللعالم به إلى سبيل الرشاد هدى، وأن أجمع ذلك لباغيه، كتاب الله الذي لا ريب فيه، وتنزيله الذي لا مرية فيه، الفائز بجزيل الذخر وسنى الأجر تاليه، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد"، ثم ذكر طرفاً من منهجه فقال: "ونحن في شرح تأويله، وبيان ما فيه من معانيه: منشئون - إن شاء الله ذلك - كتاباً مستوعباً لكل ما بالناس إليه الحاجة من علمه جامعاً، ومن سائر الكتب غيره في ذلك كافياً، ومخبرون في كل ذلك بما انتهى إلينا من اتفاق الحجة فيما اتفقت عليه الأمة، واختلافها فيما اختلفت فيه منه، ومبينو علل كل مذهب من مذاهبهم، وموضحو الصحيح لدينا من ذلك، بأوجز ما أمكن من الإيجاز في ذلك، وأخصر ما أمكن من الاختصار فيه".

وهو كتاب حافل بذكر أقوال السلف، مع التعرض لهذه الأقوال بالتمحيص والنقد مع الترجيح.

(٧٦) أجود طبعا طبعه العلامة الشيخ محمود محمد شاكر، لكنها غير كاملة، ومن أجود المكملة طبعه دار هجر بإشراف الشيخ عبد الله التركي .

(٧٧) شرح مقدمة في أصول التفسير: (٣٢٦).

(٧٨) مقدمة تفسير الطبري: (٧ / ١).

(٢) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للزمخشري

تفسير "الكشاف" لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، أحد رؤوس المعتزلة، وفحول العربية، جرى على طريقة المعتزلة في العقائد، ونصر مذهبهم العقدي في تفسيره. اهتم الزمخشري كثيراً ببلاغة القرآن الكريم، حتى صار كتابه عمدة لمن أتى بعده، واستفاد منه أهل العلم فائدة كبيرة.

ولا ينبغي أن يطالع الكتاب إلا من رسخت قدمه في السنة^(٨٠)، وتمرس في عقائد أهلها، لئلا تروج عليه البدع التي دسها الزمخشري في تفسيره، يقول ابن تيمية: "وأما الزمخشري، فتفسيره محشوٌ بالبدعة، وعلى طريقة المعتزلة"^(٨١)، ويقول: "ومن هؤلاء من يكون حسن العبارة فصيحاً، كصاحب الكشاف ونحوه، حتى إنه يروج على خلق كثير ممن لا يعتقد الباطل من تفاسيرهم الباطلة ما شاء الله"^(٨٢).

وقد قام العلماء بتعقب الزمخشري، وبيان صوابه من خطأه^(٨٣).

وعلى الكتاب عدد من الحواشي^(٨٤)، أجلها: ((فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب))، للإمام الطيبي، قال في مقدمة الحاشية: "فإني رأيت - والله الواهب - فيما يرى النائم في أثناء الشروع أو قبيله أنه صلى الله عليه وسلم ناولني قدحاً من اللبن وأشار إلي، فأصبت منه، ثم ناولته صلوات الله عليه وسلامه فأصاب منه"^(٨٥).

(٧٩) ليست له طبعة متقنة، ومن أجزائها الطبعة الموجودة بحاشية الطيبي، طبعة جائزة دبي - دار الفتح، وطبعة الحلبي .

(٨٠) لسان الميزان، لابن حجر: (٦ / ٤ - ٥).

(٨١) شرح مقدمة في أصول التفسير: (٣٢٦).

(٨٢) مجموع الفتاوى: (١٣ / ١٩٢).

(٨٣) انظر: المسائل الاعتزالية في تفسير الكشاف، للأستاذ صالح الغامدي، دار الأندلس .

(٨٤) الحواشي: نوع من الشروح للكتب، يكون فيها بيان غامض، أو شرح مشكل، أو اعتراض، أو تقييد، ونحو ذلك .

(٨٥) فتوح الغيب: (١ / ٦١٢).



يقول ابن خلدون: "ومن أحسن ما اشتمل عليه هذا الفن^(٨٦) من التفاسير = كتاب الكشاف للزمخشري، من أهل خوارزم العراق، إلا أن مؤلفه من أهل الاعتزال في العقائد، فيأتي بالحجاج على مذاهبهم الفاسدة، حيث تعرض له في آي القرآن من طرق البلاغة، فصار بذلك للمحققين من أهل السنة انحراف عنه، وتحذير للجمهور من مكانه، مع إقرارهم برسوخ قدمه فيما يتعلق باللسان والبلاغة، وإذا كان الناظر فيه واقفاً مع ذلك على المذاهب السنية، محسناً للحجاج عنها، فلا جرم أنه مأمون من غوائله، فلتغتنم مطالعته لغرابة فنونه في اللسان، ولقد وصل إلينا في هذه العصور تأليف لبعض العراقيين، وهو شرف الدين الطيبي من أهل توريث من عراق العجم، شرح فيه كتاب الزمخشري هذا، وتتبع ألفاظه، وتعرض لمذاهبه في الاعتزال بأدلة تزييفها، وتبين أن البلاغة إنما تقع في الآية على ما يراه أهل السنة، لا على ما يراه المعتزلة، فأحسن في ذلك ما شاء، مع إمتاعه في سائر فنون البلاغة، وفوق كل ذي علم عليم"^(٨٧).

يقول السيوطي: "ولما كان كتاب الكشاف هو الكافل في هذا الفن بالبيان الشافٍ اشتهر في الآفاق اشتهاه الشمس، وجهر به في محافل المجالس بين الفضلاء من غير همس، واعتنى الأئمة والمحققون بالكتابة عليه، وتسارع العلماء والفضلاء في المناقشة والمنافسة إليه: فمن يميز لاعتزال حاد فيه عن صوب الصواب، ومن مناقش له فيما أتى به من وجوه الإعراب، ومن محش وضح ونقح، وتمم ويمم، وفسر- وقرر، وحبر وحرر، وجال وجاب، واستشكل وأجاب.

ومن مخرج لأحاديثه عزا وأسند، وصحح وانتقد.
ومن مختصر لخص وأوجز، وكمل ما أعوز"^(٨٨).

(٨٦) يقصد التفاسير التي اهتمت بلغة القرآن .

(٨٧) تاريخ ابن خلدون: (٥٥٦).

(٨٨) نواهد الأبيكار: (٩ / ١).



(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للإمام ابن عطية (٥٤٦) (٨٩).

وهذا الكتاب من أجل كتب التفسير، وقد نحى ابن عطية فيه منحى التمهيص والترجيح، وسبق النقل عن الإمام ابن جزي أنه أحسن التأليف وأعدلها، وقال عنه ابن تيمية: "وتفسير ابن عطية خير من تفسير الزمخشري، وأصح نقلاً وبحثاً، وأبعد عن البدع، وإن اشتمل على بعضها، بل هو خير منه بكثير؛ بل لعله أرجح هذه التفاسير؛ لكن تفسير ابن جرير أصح من هذه كلها" (٩٠).

يقول ابن عطية في مقدمة تفسيره: "فإني لما رأيت العلوم فنوناً، وحديث المعارف شجوناً، وسلكت فإذا هي أودية، وفي كل للسلف مقامات حسان وأندية، رأيت أن الوجه لمن تشزن (٩١) للتحصيل، وعزم على الوصول، أن يأخذ من كل علم طرفاً خياراً، ولن يذوق النوم مع ذلك إلا غراراً، ولن يرتقي هذا النجد، ويبلغ هذا المجد، حتى ينضي (٩٢) مطايا الاجتهاد، ويصل التأويب بالإسناد (٩٣)، ويطعم الصبر ويكتحل بالسهاد (٩٤)، فجزيت في هذا المضمار صدر العمر طلقاً، وأدمنت حتى تفسخت أينا (٩٥) وتصببت عرقاً، إلى أن انتهج بفضل الله عملي، وحزت من ذلك ما قسم لي، ثم رأيت أن من الواجب على من احتبى، وتخير من العلوم واجتبى، أن يعتمد على علم من علوم الشرع، يستنفد فيه غاية الوسع، يجوب آفاقه، ويتبع أعماقه، ويضبط أصوله،

(٨٩) من أجود طبعته: طبعة عبد الله إبراهيم الأنصاري، والسيد عبد العال - دار الكتاب العربي، وطبعة وزارة الشؤون الإسلامية القطرية الثالثة .

(٩٠) شرح مقدمة في أصول التفسير: (٣٢٧).

(٩١) تشزن للأمر: تهباً له، واستعد .

(٩٢) أي: يُتعب .

(٩٣) التأويب: سير النهار كله، والإسناد: مش الليل، والمقصود من الجملة: ((مواصلة البحث والاطلاع)).

(٩٤) السهاد: ذهاب النوم بالليل .

(٩٥) الأين: التعب .



ويحكم فصوله، ويلخص ما هو منه، أو يؤول إليه، ويعنى بدفع الاعتراضات عليه، حتى يكون لأهل ذلك العلم كالحصن المشيد، والذخر العتيد، يستندون فيه إلى أقواله، ويحتذون على مثاله. فلما أردت أن أختار لنفسي، وأنظر في علم أعد أنواره لظلم رمسي^(٩٦)، سبرتها بالتنوع والتقسيم، وعلمت أن شرف العلم على قدر شرف المعلوم فوجدت أمتها حبالاً، وأرسخها جبلاً، وأجملها آثاراً، وأسطعها أنواراً، علم كتاب الله جلت قدرته، وتقدست أسماؤه، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، الذي استقل بالسنة والفرض، ونزل به أمين السماء إلى أمين الأرض، هو العلم الذي جعل للشرع قواماً، واستعمل سائر المعارف خداماً منه تأخذ مبادئها، وبه تعتبر نواشئها، فما وافقه منها نصح وما خالفه رفض ودفع، فهو عنصرها النмир، وسراجها الوهاج، وقمرها المنير.

وأيقنت أنه أعظم العلوم تقريباً إلى الله تعالى، وتخليصاً للنيات، ونهياً عن الباطل، وحصاً على الصالحات، إذ ليس من علوم الدنيا فيختل حامله من منازلها صيداً، ويمشي في التلطف لها رويداً. ورجوت أن الله تعالى يحرم على النار فكراً عمرته أكثر عمره معانيه، ولساناً مرن على آياته ومثانيه، ونفساً ميزت براعة رصفه ومبانيه، وجالت سومها في ميادينه ومغانيه، فثبتت إليه عنان النظر، وأقطعت جانب الفكر، وجعلته فائدة العمر، وما ونيت - علم الله - إلا عن ضرورة بحسب ما يلزم في هذه الدار من شغوب، ويمس من لغوب، أو بحسب تعهد نصيب من سائر المعارف.

فلما سلكت سبله بفضل الله ذللاً، وبلغت من اطراد الفهم فيه أملاً، رأيت أن نكته وفوائده تغلب قوة الحفظ وتفدح، وتسرح لمن يروم تقييدها في فكره وتبرح، وأنها قد أخذت بحظها من الثقل، فهي تفصي من الصدر تفصي الإبل من العقل.
قال الله تعالى: {إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا} [المزمل: ٥].

(٩٦) أي: تراب قبره .



قال المفسرون: أي علم معانيه والعمل بها...

ففرغت إلى تعليق ما يُتَنخَلُّ لي في المناظرة من علم التفسير وترتيب المعاني، وقصدت فيه أن يكون جامعاً وجيزاً محرراً، لا أذكر من القصص إلا ما لا تنفك الآية إلا به، وأثبت أقوال العلماء في المعاني منسوبة إليهم على ما تلقى السلف الصالح - رضوان الله عليهم - كتاب الله من مقاصده العربية السليمة من إحداهم أهل القول بالرموز، وأهل القول بعلم الباطن، وغيرهم، فمتى وقع لأحد من العلماء الذين قد حازوا حسن الظن بهم لفظ ينحو إلى شيء من أغراض الملحدين نبهت عليه.

وسردت التفسير في هذا التعليق بحسب رتبة ألفاظ الآية من حكم، أو نحو، أو لغة، أو معنى، أو قراءة، وقصدت تتبع الألفاظ حتى لا يقع طفر^(٩٧) كما في كثير من كتب المفسرين... وقصدت إيراد جميع القراءات: مستعملها وشاذها، واعتمدت تبين المعاني وجميع احتمالات الألفاظ، كل ذلك بحسب جهدي وما انتهى إليه علمي، وعلى غاية من الإيجاز وحذف فضول القول.

وأنا أسأل الله جلت قدرته، أن يجعل ذلك كله لوجهه، وأن يبارك فيه وينفع به، وأنا وإن كنت من المقصرين فقد ذكرت في هذا الكتاب كثيراً من علم التفسير، وحملت خواطري فيه على التعب الخطير، وعمرت به زمني، واستفرغت فيه منني^(٩٨)، إذ كتاب الله تعالى لا يتفسر إلا بتصريف جميع العلوم فيه، وجعلته ثمرة وجودي، ونخبة مجهودي، فليستصوب للمرء اجتهاده، وليعذر في تقصيره وخطئه وحسبنا الله ونعم الوكيل^(٩٩).

وقد وفي بما قصده رحمه الله تعالى، والخلاصة: أن هذا الكتاب من أهم كتب التفسير، وفيه نفائس كثيرة جداً، ويُعدُّ مرجعاً من أهم مراجع التفسير.

(٩٧) أي: وثب أو قفز .

(٩٨) أي: قوتي .

(٩٩) المحرر الوجيز: (١/ ٣٣ - ٣٥) .



(٤) زاد المسير في علم التفسير، للإمام ابن الجوزي (٥٩٧) (١٠٠).

وهو من الكتب التي تهتم بذكر الأقوال، معزوة لأصحابها، ويلتقي في ذلك مع كتاب: (النكت والعيون، للماوردي)، غير أن كتاب ابن الجوزي أصح نقلاً، وأكثر تحريراً. وقد أبان الإمام ابن الجوزي عن أساس منهجه في تفسيره في ثلاث مواضع، فقال: "وإني نظرت في جملة من كتب التفسير، فوجدتها بين كبير قد يئس الحافظ منه، وصغير لا يستفاد كل المقصود منه، والمتوسط منها قليل الفوائد، عديم الترتيب، وربما أهمل فيه المشكل، وشرح غير الغريب، فأتيتك بهذا المختصر- اليسير، منطويًا على العلم الغزير، ووسمته بـ «زاد المسير في علم التفسير».

وقد بالغت في اختصار لفظه، فاجتهد - وفقك الله - في حفظه، والله المعين على تحقيقه، فما زال جائداً بتوفيقه" (١٠١).

وقال: "لما رأيت جمهور كتب المفسرين لا يكاد الكتاب منها يفي بالمقصود كشفه حتى ينظر للآية الواحدة في كتب، فربّ تفسير أخلّ فيه بعلم النسخ والمنسوخ، أو ببعضه، فإن وجد فيه لم يوجد أسباب النزول، أو أكثرها، فإن وجد لم يوجد بيان المكيّ من المدنيّ، وإن وجد ذلك لم توجد الإشارة إلى حكم الآية، فإن وجد لم يوجد جواب إشكال يقع في الآية، إلى غير ذلك من الفنون المطلوبة.

وقد أدرجت في هذا الكتاب من هذه الفنون المذكورة مع ما لم أذكره مما لا يستغني التفسير عنه ما أرجو به وقوع الغناء بهذا الكتاب عن أكثر ما يجانسه.

وقد حذرت من إعادة تفسير كلمة متقدمة إلا على وجه الإشارة، ولم أغادر من الأقوال التي أحطت بها إلا ما تبعد صحته مع الاختصار البالغ، فإذا رأيت في فرش الآيات ما لم يذكر تفسيره، فهو لا يخلو من أمرين: إما أن يكون قد سبق، وإما أن يكون ظاهراً لا يحتاج إلى تفسير.

(١٠٠) من أجود طبعاته، طبعة المكتب الإسلامي في تسعة مجلدات، بتحقيق الشيخ زهير الشاويش، وطبعة دار الفكر.

(١٠١) زاد المسير: (١ / ١١).



وقد انتقى كتابنا هذا أنقى التفاسير، فأخذ منها الأصحَّ والأحسن والأصون، فنظمه في عبارة الاختصار.

وهذا حين شرونا فيما ابتدأنا له، والله الموفق " (١٠٢).

ثم قال في نهاية الكتاب: "والحمد لله على الإنعام الغزير، وإذ قد بلغنا بحمد الله مرادنا فيما أمَلنا، فلا يعتقِدَنَّ من رأى اختصارنا أننا أقللنا، فقد أشرنا بما ذكرنا إلى ما تركنا ودللنا، فليكن الناظر في كتابنا متيقظاً لما أغفلنا، فإننا ضمنا الاختصار مع نيل المراد، وقد فعلنا.

ومن أراد زيادة بسط في التفسير، فعليه بكتابنا «المغني» في التفسير.

فإن أراد مختصراً، فعليه بكتابنا المسمّى بـ «تذكرة الأريب في تفسير الغريب» " (١٠٣).

وبجمع هذه العبارات، وتحليلها، يتبين لنا الأساس الذي بنى عليه الإمام ابن الجوزي تفسيره زاد المسير، فقد أظهر ابن الجوزي أنه أراد أن يؤلف كتاباً متوسطاً يجمع الأقوال في التفسير، ويغني عن غيره من كتب التفسير الموجودة بين الناس.

وأبان أنه قد ألف كتاباً في التفسير مطولاً، وسماه: ((المغني))، وآخر مختصراً وسماه: ((تذكرة الأريب))، وجعل ((زاد المسير)) بينهما، ومنهجه العام فيه:

(١) الوفاء بتفسير الآية، بحيث لا يحتاج الناظر في كتابه إلى مطالعة كتب أخرى، فإنه يورد

المعنى الإجمالي للجمل القرآنية، مع بيانه للاشتقاقات اللغوية للمفردات في الغالب.

(٢) ترتيب الكلام على الآيات لتوضيح المقصود، واتقاء حصول تشويشٍ على القارئ.

(٣) شرح ما يُشكل في معنى الآية.

(٤) بيان المعلومات المتعلقة بالآية؛ كالناسخ والمنسوخ، وأسباب النزول، والمكي والمدني،

وغيرها من الفوائد المطلوبة.

(٥) اتقاء التكرار في بيان المعاني.

(١٠٢) زاد المسير: (١ / ١٤).

(١٠٣) زاد المسير: (٤ / ٥١١).

٦) تحري الأصح والأحسن والأصون، ونظمه في عبارة الاختصار.

ومن خلال القراءة في الكتاب، يتبين أن الإمام ابن الجوزي قد أتى على مراده، وضمن الكتاب عددًا كبيرًا من الفوائد، مما جعل كتابه أحد الكتب المعتمدة في تفسير القرآن، ومنهلاً عذبًا يروي ظمًا طالب تفسير كلام الرحمن.

يقول الدكتور عبدالله الجديع عن الكتاب: "هذا الكتاب يعتمد على الأثر واللغة وبعض الرأي، ويسوق الأقوال في ذلك بأحسن سياقة وأخصرها، كما يعتني باختلاف القراءات وتوجيهها، حتى الشاذة منها، كذلك يذكر أسباب النزول والمكي والمدني، والنسخ، وتوضيح المشكل، جميع ذلك بعبارة سهلة وعرض ممتع، ويقل جدًا أن يذكر شيئًا غير معزو لأحد، وإذا علق بشيء من قبل نفسه أتى بآتم معنى وأخصر. عبارة، غير أنه لما قصد إليه من الاختصار فإنه لا يذكر الأسانيد" (١٠٤).

(٥) التفسير الكبير، للرازي (٦٠٦).

((التفسير الكبير، أو مفاتيح الغيب))، تفسير كبير الحجم للإمام الرازي رحمه الله، اتفق العلماء أن الإمام الرازي كتب تفسيره، واختلفوا هل أكمله أم لا ؟ وقد بحث الشيخ العلامة المعلمي البياني رحمه الله هذه القضية، وتوصل أخيراً إلى النتائج الآتية:

(١) التفسير المطبوع ليس بكمال للرازي.

(٢) التكملة المطبوعة مع التفسير لشمس الدين الخويي^(١٠٥)، لا نجم الدين القموي^(١٠٦).

(٣) الأصل منه، وهو الذي فسره الرازي: من أول الكتاب إلى آخر تفسير القصص، ثم من أول تفسير سورة الصافات إلى آخر تفسير سورة الأحقاف، ثم تفسير سور الحديد والمجادلة والحشر، ثم من أول تفسير سورة الملك إلى آخر الكتاب^(١٠٧).
والكتاب يُعدُّ من مراجع التفسير الكبيرة، وفيه فوائد كثيرة، ومسائل علمية نادرة، لكن لا يصلح أن يقرأ فيه إلا من كان عارفاً بعلم الاعتقاد، وضابطاً لعلم التفسير ليعرف كيف يستفيد منه.

وقد جعل العقل حجة عنده، فتراه يقدمه على النقل بدعوى التعارض بينهما، بل تراه يستخدمه في مجالات لا يُقبلُ فيها نقد العقل، كبعض الأحاديث الصحيحة الواردة في حق بعض الأنبياء، فهو يفندُها من جهة العقل فحسب.

وقد استفاد في الوجوه البلاغية من تفسير الزمخشري على وجه الخصوص.

(١٠٥) شمس الدين قاضي القضاة أحمد بن خليل الخويي توفي سنة (٦٣٧ هـ).

(١٠٦) نجم الدين أحمد بن محمد القموي، توفي سنة (٧٢٧ هـ).

(١٠٧) وهو بحث نفيس يشهد بما أوتي الشيخ المعلمي رحمه الله من أدوات البحث من سعة العلم، ودقة الملاحظة، وتذوق البيان، والحرص على التبع والاستقصاء دون كلل أو ملل .
انظر: آثار المعلمي البياني: (٧/ ٤٠).



ومن الأمور التي اعتنى بها الرازي في تفسيره:

(١) علم المناسبات.

(٢) الاستنباط في جميع المجالات.

(٣) ذكر الملح واللطائف التفسيرية.

(٤) العناية بجانب البلاغة القرآنية.

وهذا الكتاب من الكتب التي تحتاج إلى الاختصار الذي يقربها للقارئ، ويبعد ما فيها من الاستطرادات العلمية التي لا تفيد جمهور القراء، والتي قد تكون مخالفة للاعتقاد. وقد لخص حال الكتاب الإمام ابن جزري فيما نقلناه عنه، وهو قوله: "وأما ابن الخطيب فتضمن كتابه ما في كتاب الزمخشري، وزاد عليه إشباع الكلام في قواعد في الكلام، ونمقه بترتيب المسائل، وتدقيق النظر في بعض المواضع، وهو على الجملة كتاب كبير الجرم ربما احتاج إلى تنخيل وتلخيص، والله ينفع الجميع بخدمة كتابه، ويجزيهم أفضل ثوابه".

(٦) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٦٧١) (١٠٨). ٢٣-٥٢

وهو تفسير شامل وليس خاصًا بأحكام القرآن، وقد قال في بيان ذلك: "فلما كان كتاب الله هو الكفيل بجميع علوم الشرع، الذي استقل بالسنة والفرض، ونزل به أمين السماء إلى أمين الأرض؛ رأيت أن أشتغل به مدى عمري، وأستفرغ فيه متي؛ بأن أكتب فيه تعليقًا وجيزًا، يتضمن نكتًا من التفسير واللغات، والإعراب والقراءات، والرد على أهل الزيغ والضلالات، وأحاديث كثيرة شاهدة لما نذكره من الأحكام ونزول الآيات، جامعًا بين معانيهما، ومبينًا ما أشكل منها بأقوال السلف ومن تبعهم من الخلف... وأضرب عن كثير من قصص المفسرين، وأخبار المؤرخين، إلا ما لا بد منه ولا غنى عنه للبينين، واعتضت من ذلك تبين أي الأحكام، بمسائل تفسير عن معناها، وترشد الطالب إلى مقتضاها، فضمنت كل آية لتضمن حكمًا أو حكمين فما زاد، مسائل نبين فيها ما تحتوي عليه من أسباب النزول والتفسير الغريب والحكم، فإن لم تتضمن حكمًا ذكرت ما فيها من التفسير والتأويل، هكذا إلى آخر الكتاب.

وسميته بـ (الجامع لأحكام القرآن، والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان)» (١٠٩).

وهذا يعني أن كتابه شامل للتفسير، ومع هذا تراه سماه باسم يدل على أنه سيكون متعلقًا بعلم الفقه والاستنباط، وإنما كان ذلك بسبب براعة مؤلفه في علم الفقه، والله أعلم. والذي يقرأ في هذا التفسير يجد أن القرطبي، رحمه الله، قد وفي بما شرطه على نفسه في هذا التفسير، فهو يعرض لذكر أسباب النزول والقراءات، والإعراب، ويبين معنى الغريب من ألفاظ القرآن، ويحتكم إلى اللغة كثيرًا، ويكثر من الاستشهاد بأشعار العرب، وينقل عن السلف كثيرًا مما أثر عنهم في التفسير والأحكام.

(١٠٨) من أجود طبعاته: طبعة دار الكتب المصرية الثانية، وطبعة مؤسسة الرسالة.

(١٠٩) تفسير القرطبي: (١/٢ - ٣).

ومما ينبه عليه كذلك: أنه جرى في خطة تصنيفه على منهج القاضي أبي بكر ابن العربي، وكاد أن يستوعب ذكر مسأله بحروفها، كذلك اعتمد على تفسير ابن عطية «المحرر الوجيز»، بل كان من أهم مراجعه، وكثيرًا ينقل كلامها دون عزوه إليها.

(٧) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي (٦٩١) (١١٠).

يعد تفسير البيضاوي من أشهر كتب التفسير المختصرة لما حظي به من عناية أيام الدولة العثمانية، وقد كتب العلماء عليه الحواشي وأكثرها، حتى بلغ في عد بعضهم أكثر من مائة حاشية وشرح (١١١).

استفاد البيضاوي من تفسير الزمخشري استفادة كبيرة، وضمن الكتاب نكتًا بارعة، ولطائف رائعة، واستنباطات دقيقة، كل هذا في أسلوب رائع موجز، وعبارة تدق أحيانًا وتخفى إلا على ذي بصيرة ثاقبة، وفطنة نيرة.

وهو يهتم أحيانًا بذكر القراءات، ويعرض للصناعة النحوية، ويتعرض عند آيات الأحكام لبعض المسائل الفقهية بدون توسع منه.

يقول البيضاوي عن كتابه: "إن أعظم العلوم مقدارًا وأرفعها شرفًا ومنارًا، علم التفسير الذي هو رئيس العلوم الدينية وأساسها، ومبنى قواعد الشرع وأساسها، لا يليق لتعاطيه والتصدي للتكلم فيه إلا من برع في العلوم الدينية كلها أصولها وفروعها، وفاق في الصناعات العربية والفنون الأدبية بأنواعها.

ولطالما أحدث نفسي بأن أصنف في هذا الفن كتابًا يحتوي على صفوة مما بلغني من عظماء الصحابة، وعلماء التابعين، ومن دونهم من السلف الصالحين، وينطوي على نكت بارعة،

(١١٠) ليست له - إلى الآن - طبعة متقنة، ومن أجود المتاح:

١- طبعة دار الرشيد ودار الإبان، بتحقيق: محمد صبحي حلاق ومحمد الأطرش .

٢- طبعة دار إحياء التراث، بعناية محمد بن عبدالرحمن المرعشلي .

وللشيخ د. عبد الرحمن الشهري شرح عليه ينزل تبعًا لم يكمله بعد .

(١١١) من أنفس حواشيه:

١- حاشية الشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الرازي .

٢- حاشية شيخ زاده، ولعلها أنفس حواشيه .

٣- حاشية القونوي .



ولطائف رائعة، استنبطتها أنا ومن قبلي من أفاضل المتأخرين، وأمائل المحققين، ويعرب عن وجوه القراءات المشهورة المعزوة إلى الأئمة الثمانية المشهورين^(١١٢)، والشواذ المروية عن القراء المعبرين.

إلا أن قصور بضاعتي يثبطني عن الإقدام، ويمنعني عن الانتصاب في هذا المقام حتى سنح لي بعد الاستخارة ما صمم به عزمي على الشروع فيما أردته، والإتيان بما قصدته، ناوياً أن أسميه بعد أن أتممه «بأنوار التنزيل وأسرار التأويل»^(١١٣).

ويقول السيوطي: "وسيد المختصرات منه^(١١٤) كتاب "أنوار التنزيل وأسرار التأويل" للقاضي ناصر الدين البيضاوي، لخصه فأجاد، وأتى بكل مستجد، وماز منه أماكن الاعتزال، وطرح مواضع الدسائس وأزال، وحرر مهمات، واستدرك تتهات، فبرز كأنه سبيكة نُضار، واشتهر اشتهاً الشمس في وسط النهار، وعكف عليه العاكفون، ولهج بذكر محاسنه الواصفون، وذاق طعم دقائقه العارفون، فأكب عليه العلماء والفضلاء تدريساً ومطالعة، وبادروا إلى تلقيه بالقبول رغبة فيه ومسارة، ومروا على ذلك طبقة بعد طبقة، ودرجوا عليه من زمن مصنفه إلى زمن شيوخنا متسقة"^(١١٥).

ويقول حاجي خليفة: "وتفسيره: هذا كتاب عظيم الشأن، غني عن البيان، لخص فيه من (الكشاف) ما يتعلق بالإعراب، والمعاني، والبيان.

ومن (التفسير الكبير) ما يتعلق بالحكمة، والكلام.

ومن (تفسير الراغب) ما يتعلق بالاشتقاق، وغوامض الحقائق، ولطائف الإشارات.

(١١٢) هم الأئمة: ((ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعبد الله بن عامر، وعاصم، وحزمة، والكسائي، ويعقوب بن إسحاق))،

(١١٣) أنوار التنزيل: (٢٣).

(١١٤) أي: من الكشاف، للزمخشري.

(١١٥) نواهد الأبيكار: (١٣ / ١).



وضم إليه: ما ورى زناد فكره من الوجوه المعقولة، والتصريفات المقبولة، فجلا رين الشك عن السريرة، وزاد في العلم بسطة وبصيرة.

.. ولكونه متبحرا في ميدان فرسان الكلام، فأظهر مهارته في العلوم، حسبما يليق بالمقام، كشف القناع تارة، عن وجوه محاسن الإشارة، وملح الاستعارة، وهتك الأستار أخرى، عن أسرار المعقولات، بيد الحكمة ولسانها، وترجمان الناطقة وبنانها، فحل ما أشكل على الأنام، وذل لهم صعب المرام.

وأورد في المباحث الدقيقة: ما يؤمن به عن الشبه المضلة، وأوضح له مناهج الأدلة. ... ثم إن هذا الكتاب، رزق من عند الله - سبحانه وتعالى - بحسن القبول، عند جمهور الأفاضل والفحول؛ فعكفوا عليه بالدرس والتحشية.

فمنهم: من علق تعليقة على سورة منه؛ ومنهم: من حشّى تحشية تامة؛ ومنهم: من كتب على بعض مواضع منه" (١١٦).



(٨) تفسير ابن تيمية (٧٢٨) (١١٧).

كان شيخ الإسلام ابن تيمية ممن أوتي علماً في كتاب الله تعالى، وكانت له مجالس في التفسير، ويحضر مجلسه الجم الغفير، ويردون من بحر علمه العذب النмир، ويرتعون من ربيع فضله في روضة وغدير" (١١٨).

وسبب ذلك أنه: "أقبل على التفسير إقبالاً كلياً حتى حاز فيه قصب السبق" (١١٩).

ومن أخباره في دراسة التفسير، ومعرفة الأقوال فيه، أنه: "كتب على جميع القرآن وما أمكنه من النقول عن السلف وذلك شيء كثير".

قال مرة لبعض تلامذته (١٢٠): "ربما طالعت على الآية الواحدة نحو مئة تفسير، ثم أسأل الله الفهم وأقول: يا معلم إبراهيم.

ويذكر قصة معاذ بن جبل، وقوله لمالك بن يخامر لما بكى عند موته، وقال: أنا لا أبكي على دنيا كنت أصيبتها منك، ولكن أبكي على العلم والإيمان اللذين كنت أتعلمهما منك، فقال: إن العلم والإيمان مكانهما، من ابتغاهما وجدتهما، فاطلب العلم عند أربعة وسماهم، فقال: عند أبي الدرداء، وعبد الله بن مسعود، وسلمان الفارسي، وعبد الله بن سلام، فإن أعيانك العلم عند هؤلاء؛ فليس هو في الأرض، فاطلبه من معلم إبراهيم".

قال ابن رشيقي: "فكتب الشيخ نقول السلف مجرداً عن الاستدلال، على جميع القرآن.

- وكتب في أوله قطعة كبيرة بالاستدلال.

- ورأيت له سوراً وآيات يفسرها ويقول في بعضها: كتبته للتذكُّر، ونحو ذلك.

(١١٧) جمع تفسيره أكثر من مرة، وأفضل من جمعه ورتبه: إياد القيسي، وطبعته دار ابن الجوزي بالسعودية، وانظر للتوسع في منهج ابن تيمية واختياراته في التفسير: اختيارات ابن تيمية في التفسير، لمحمد زيلعي هندي، وإبراهيم الحميضي، ومحمد المسند.

(١١٨) الجامع لسيرة ابن تيمية خلال سبعة قرون: (١٨٨).

(١١٩) السابق: (٢٥٠).

(١٢٠) هو ابن رشيقي رحمه الله، صاحب أسماء مؤلفات شيخ الإسلام.



ثم لما حُجِس في آخر عمره كتبت له: أن يكتب على جميع القرآن مرتبًا على السور، فكتب يقول: إن القرآن فيه ما هو بيّن في نفسه، وفيه ما بيّنه المفسرون في غير كتاب؛ ولكن بعض الآيات أشكلت على جماعة من العلماء، فربما يطالع الإنسان عليها عدّة كتب ولا يبيّن له تفسيرها، وربما كتب المصنف الواحد في آية تفسيرًا وتفسير نظيرها بغيره، فقصدت تفسير تلك الآيات بالدليل؛ لأنّه أهم من غيره، وإذا تبين معنى آية تبين معاني نظائرها.

وقال: قد فتح الله عليّ في هذا الحصن في هذه المدّة من معاني القرآن، ومن أصول العلم بأشياء مات كثير من العلماء يتمنونها، وندمت على تضييع أكثر أوقاتي في غير معاني القرآن، أو نحو هذا" (١٢١).

لقد كان ابن تيمية "آية من آيات الله تعالى في التفسير، والتوسع فيه، لعله يبقى في تفسير الآية المجلس والمجلسين" (١٢٢)، بقي يفسر (سورة نوح) عدة سنين (١٢٣)!

ووصف ابن تيمية بأن "معرفته بالتفسير إليها المنتهى" (١٢٤).

"وكان إذا ذكر التفسير أبهت الناس من كثرة محفوظه، وحُسن إيراده، وإعطائه كلّ قولٍ ما يستحقّه من التّرجيح والتّضعيف والإبطال، وخوضه في كل علم، كان الحاضرون يقضون منه العَجَب" (١٢٥).

قال بعض العلماء: "وأما التفسير فمسلّم إليه، وله في استحضار الآيات من القرآن - وقت إقامة الدليل بها على المسألة - قوةٌ عجيبة، وإذا رآه المقرئ تحيّر فيه، وفرط إمامته في التفسير

(١٢١) السابق: (٢٨٤).

(١٢٢) السابق: (٢٦٨).

(١٢٣) السابق: (٤٦٥)، (٦٦٩).

(١٢٤) السابق: (٢٥٤).

(١٢٥) السابق: (٢٥٤).



وعظمة اطلاعه يبيّن خطأ كثيرٍ من أقوال المُفسِّرين، ويُوهي أقوالاً عديدة، وينصّرُ قولاً واحداً موافقاً لما دلَّ عليه القرآن والحديث " (١٢٦).

ولابن تيمية كتاب مهم سماه: «تفسير آيات أشكلت: حتى لا يوجد في طائفة من كتب التفسير فيها صواب بل لا يوجد فيها إلا قول خطأ» (١٢٧)، وتعرّض الإمام ابن تيمية رحمه الله في هذا الكتاب إلى عددٍ من الآيات التي رأى أنها أشكلت على كثيرٍ من المُفسِّرين، فأزال هذا الإشكال. قال ابن عبد الهادي: "وكتب على تفسير القرآن العظيم جملةً كبيرةً تشتتل على نفائس جليلة، ونكتٍ دقيقة، ومعانٍ لطيفة، وأوضح مواضع كثيرة أشكلت على خلقٍ من المُفسِّرين" (١٢٨).

(١٢٦) السابق: (٢٥٦).

(١٢٧) طبع بتحقيق، د. الخليفة، دار الصمعي .

(١٢٨) الجامع لسيرة ابن تيمية: (٢٦١).



(٩) التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزى (٧٤١) (١٢٩).

وهو تفسير مهم ونفيس، وفيه نَفَسُ الأندلسيين في التحرير، ويُبدى رأيه وترجيحه لبعض الأقوال، وإن كان لا ينصُّ على مستنده في الترجيح - غالبًا -.

وقد قدم له المؤلف بمقدمة نفيسة جدًا، وطرح فيها موضوعات في غاية الأهمية، منها: أنواع الاختلاف الواقعة في التفسير، وأسباب الاختلاف في التفسير، ووجوه الترجيح في التفسير. وقد استفاد كثيرًا من تفسير ابن عطية (١٣٠).

وقد عرف الإمام ابن جزى بتفسيره، ومنهجه، فقال: "إن علم القرآن العظيم هو أرفع العلوم قدرًا، وأجلها خطرًا، وأعظمها أجرًا، وأشرفها ذكرًا، وأن الله أنعم عليَّ بأن شغلني بخدمة القرآن وتعلُّمه وتعليمه، وشغفني بتفهم معانيه وتحصيل علومه.

فاطلعت على ما صنفه العلماء رضي الله عنهم في تفسير القرآن من التصانيف المختلفة الأوصاف، المتباينة الأصناف، فمنهم من آثر الاختصار، ومنهم من طوّل حتى أكثر الأسفار، ومنهم من تكلم في بعض فنون العلم دون بعض، ومنهم من اعتمد على نقل أقوال الناس، ومنهم من عوّل على النظر والتحقيق والتدقيق، وكل أحد سلك طريقًا نحاه، وذهب مذهبًا ارتضاه، وكلاً وعد الله الحسنَى.

فرغبت في سلوك طريقهم، والانخراط في سلك فريقهم، وصنفتُ هذا الكتاب في تفسير القرآن العظيم وسائر ما يتعلق به من العلوم، وسلكت مسلكًا نافعًا؛ إذ جعلته وجيزًا جامعًا، قصدت به أربع مقاصد تتضمن أربع فوائد:

(١٢٩) له طبعات، من أجودها:

١ - طبعة دار طيبة الخضراء، بتحقيق الأستاذ علي الصالحي، ويؤخذ عليه أنه وضع النص القرآني على ما يوافق رواية حفص، وكان الأولى أن يضعه على رواية نافع، وورش بالأخص .

٢ - طبعة المنتدى الإسلامي، بتحقيق الشيخ أبو بكر سعداوي .

(١٣٠) قام بدراسة منهجه الدكتور علي محمد الزيري في مجلدين، وهي من أفضل الدراسات لمنهج مفسر من المفسرين.



الفائدة الأولى: جمع كثير من العلم في كتاب صغير الحجم؛ تسهياً على الطالبين، وتقريباً على الراغبين، فلقد احتوى هذا الكتاب على ما تضمنته الدواوين الطويلة من العلم ولكن بعد تلخيصها وتمحيصها، وتنقيح فصولها، وحذف حشوها وفضولها، ولقد أودعته من كل فن من فنون علم القرآن اللباب المرغوب فيه دون القشر. المرغوب عنه من غير إفراط ولا تفريط، ثم إنني عزمت على إيجاز العبارة، وإفراط الاختصار، وترك التطويل والتكرار.

الفائدة الثانية: ذكر نكت عجيبة وفوائد غريبة قلماً توجد في كتاب؛ لأنها من بنات صدري ونتائج فكري، ومما أخذته عن شيوخي رضي الله عنهم، أو مما التقطته من مستظرفات النوادر، الواقعة في غرائب الدفاتر.

الفائدة الثالثة: إيضاح المشكلات، إما بحل العقّد المقفلات، وإما بحسن العبارة ورفع الاحتمالات وبيان المجملات.

الفائدة الرابعة: تحقيق أقوال المفسرين والتفرقة بين السقيم منها والصحيح، وتمييز الراجح من المرجوح؛ وذلك أن أقوال الناس على مراتب، فمنها الصحيح الذي يعول عليه، ومنها الباطل الذي لا يلتفت إليه، ومنها ما يمتل الصحة والفساد، ثم إن هذا الاحتمال قد يكون متساوياً أو متفاوتاً، والتفاوت قد يكون قليلاً أو كثيراً.

... وسميت هذا الكتاب كتاب «التسهيل لعلوم التنزيل»، وقدمت في أوله مقدمتين: إحداهما: في أبواب نافعة، وقواعد كلية جامعة، والأخرى: فيما كثر دوره من اللغات الواقعة. وأنا أرغب إلى الله العظيم الكريم أن يجعل تصنيف هذا الكتاب عملاً مبروراً، وسعيًا مشكوراً، ووسيلة توصلني إلى جنات النعيم، وتنقذني من عذاب الجحيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم" (١٣١).

فأنت ترى أن المؤلف رحمه الله قصد إلى جملة من الأمور، وقد وفي بها، فجاء كتابه من أفضل كتب التفسير وأنفعها.

(١٠) البحر المحيط، لأبي حيان (٧٤٥) (١٣٢).

كتابه موسوعة ضخمة في التفسير، جمع وحرر وناقش وقرر، وبالغ في الاعتناء بالنحو حتى جاوز الحد المطلوب للقرآن، وهو فيه سيويه زمانه، واعتنى بالقراءات عناية فائقة، مع قدر من الاعتناء بالأثر (١٣٣)، وله عناية بالمناسبات.

قال شيخ القراء ابن الجزري: «له التفسير الذي لم يسبق إلى مثله، سماه البحر المحيط» (١٣٤).

قال أبو حيان عن منهجه في تأليف كتابه: "وترتيبي في هذا الكتاب:

أني أبتدى أولاً بالكلام على مفردات الآية التي أفسرها، لفظة لفظة، فيما يحتاج إليه من اللغة والأحكام النحوية التي لتلك اللفظة قبل التركيب.

ثم أشعر في تفسير الآية، ذاكرًا سبب نزولها، إذا كان لها سبب، ونسخها، ومناسبتها وارتباطها بما قبلها، حاشدًا فيها القراءات، شاذها ومستعملها، ذاكرًا توجيه ذلك في علم العربية.

ناقلًا أقاويل السلف والخلف في فهم معانيها، متكلما على جليها وخفيها، بحيث إني لا أغادر منها كلمة، وإن اشتهرت، حتى أتكلم عليها، مبدئًا ما فيها من غوامض الإعراب ودقائق الآداب من بديع وبيان.

مجتهدًا أني لا أكرر الكلام في لفظ سبق، ولا في جملة تقدم الكلام عليها، ولا في آية فسرت، بل أذكر في كثير منها الحوالة على الموضوع الذي تكلم فيه على تلك اللفظة أو الجملة أو الآية، وإن عرض تكرير فبمزيد فائدة.

(١٣٢) صدرت له عدة طبعات، من أجودها:

١ - طبعة دار هجر، بتحقيق مجموعة .

٢ - طبعة مؤسسة الرسالة، بتحقيق مجموعة .

وطبعته متقاربتان .

(١٣٣) المقدمات الأساسية: (٣٦٢).

(١٣٤) غاية النهاية: (٢ / ٢٨٦).



ناقلاً أقاويل الفقهاء الأربعة، وغيرهم في الأحكام الشرعية مما فيه تعلق باللفظ القرآني، محيلاً على الدلائل التي في كتب الفقه، وكذلك ما نذكره من القواعد النحوية أحيلاً في تقررها والاستدلال عليها على كتب النحو، وربما أذكر الدليل إذا كان الحكم غريباً، أو خلاف مشهور ما قال معظم الناس.

بادئاً بمقتضى الدليل وما دل عليه ظاهر اللفظ من حجاله لذلك ما لم يصد عن الظاهر ما يجب إخراجه به عنه.

منكباً في الإعراب عن الوجوه التي تنزه القرآن عنها، مبيناً أنها مما يجب أن يعدل عنه، وأنه ينبغي أن يحمل على أحسن إعراب وأحسن تركيب، إذ كلام الله تعالى أفصح الكلام، فلا يجوز فيه جميع ما يجوز النحاة في شعر الشماخ والطرماح وغيرهما من سلوك التقادير البعيدة والتراكيب القلقة والمجازات المعقدة.

ثم أختتم الكلام في جملة من الآيات التي فسرتها أفراداً وتركيباً بما ذكروا فيها من علم البيان والبدیع، ملخصاً.

ثم أتبع آخر الآيات بكلام منشور أشرح به مضمون تلك الآيات على ما أختاره من تلك المعاني، ملخصاً جملها في أحسن تلخيص، وقد ينجر معها ذكر معان لم تتقدم في التفسير، وصار ذلك أنموذجاً لمن يريد أن يسلك ذلك فيما بقي من سائر القرآن.

وستقف على هذا المنهج الذي سلكته، إن شاء الله تعالى، وربما ألممت بشيء من كلام الصوفية مما فيه بعض مناسبة لمدلول اللفظ، وتجنببت كثيراً من أقاويلهم ومعانيهم التي يحملونها الألفاظ.

وتركت أقوال الملحدین الباطنية المخرجين الألفاظ القريبة عن مدلولاتها في اللغة إلى هذيان افتروه على الله تعالى وعلى علي كرم الله وجهه وعلى ذريته، ويسمونه علم التأويل" (١٣٥).

وقد وفي رحمه الله بأغلب ما ذكره، وإن ترك بعضًا، واعتري بعضه ما لا بد منه.
وله تفسير آخر، سماه: ((النهر الماد من البحر))، اختصر فيه البحر المحيط.
ومما يتصل بالبحر المحيط، كتاب تلميذه السمين الحلبي (٧٥٦) الدر المصون^(١٣٦)، وهو
كتاب منظم، ومن أنفس الكتب التي اعتنت بإعراب القرآن.
وقد تأثر السمين تأثرًا واضحًا بكتاب أبي حيان، واقتبس منه كثيرًا من مباحثه، واستفاد من
ابن عطية كذلك، والكشاف للزمخشري، وغيرها.
ومن أبرز مميزات الدر المصون: التنظيم والدقة، مع نسبة الأقوال لأصحابها، ولذا فإنه يعد من
أنفس كتب إعراب القرآن، وأقربها فائدة لطالب العلم.

(١٣٦) وأجود طبعاته، طبعة: دار القلم، بتحقيق د. أحمد الخراط .

(١١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٧٧٤) (١٣٧).

لا يبعد أن نقول: إن "تفسير القرآن العظيم" للإمام ابن كثير، من أنفع كتب التفسير، وأكثرها شيوعاً (١٣٨).

اعتمد مؤلفه في تفسيره طريقة ابن جرير الطبري، وله عناية بدراسة المسائل الفقهية لكن على نحو معتدل بعيداً عن المبالغة والتقصير.

واعتنى بالأحداث التاريخية التي تناولها القرآن بالحديث عنها، وحرر أسباب النزول، وأكثر من ذكرها، وكان اهتمامه باللغة في تفسير القرآن ودلالاتها، محدوداً.

وطريقته في التفسير أن يذكر الآية، ثم يفسرها بعبارة سهلة، موجزة ويجمع الآيات المناسبة لها، ويقارن بينها، وتفسيره أكثر كتب التفسير المعروفة سرداً للآيات المناسبة في المعنى الواحد، ثم يورد الأحاديث المرفوعة التي لها صلة بالآية، ثم يردف هذا بأقوال الصحابة والتابعين وعلماء السلف.

وقدم لكتابه بمقدمة استفاد منها من "مقدمة ابن تيمية في أصول التفسير"، وضمنها كتابه في فضائل القرآن، وقد ألقى الحافظ ابن كثير في آخر تفسيره في أول الأمر، ثم أثبتته في أول التفسير بعد ذلك، وقال: "ذكر البخاري - رحمه الله - كتاب "فضائل القرآن" بعد "كتاب التفسير"؛ لأن التفسير أهم، فلهذا بدأ به، ونحن قدمنا الفضائل قبل التفسير، وذكرنا فضل كل سورة قبل تفسيرها؛ ليكون ذلك باعثاً على حفظ القرآن، وفهمه والعمل بما فيه، والله المستعان" (١٣٩).

(١٣٧) له طبعات كثيرة جداً، وأغلبها متقارب، ومن أجزائها:

١ - طبعة دار عالم الكتب، بتحقيق مجموعة .

٢ - طبعة دار طيبة الثانية، بتحقيق الشيخ سامي سلامة .

٣ - طبعة دار ابن الجوزي السعودية .

(١٣٨) انظر: المحرر في أسباب النزول، للمزيني: (١ / ٦٨)، وتعريف الذهبي به في التفسير والمفسرون، ومقدمة سامي سلامة لتحقيقه .

(١٣٩) فضائل القرآن: (٣).



قال الشوكاني عن تفسيره: "وله تصانيف، منها التفسير المشهور وهو في مجلدات، وقد جمع فيه فأوعى، ونقل المذاهب والأخبار والآثار، وتكلم بأحسن كلام وأنفسه، وهو من أحسن التفاسير إن لم يكن أحسنها" (١٤٠).

يقول الجديع: "وهذا الكتاب أكثر هذه الكتب تحريًا وتحقيقًا مع الاختصار والتهذيب، أحسن مثال لمراعاة المنهج السليم في التفسير، يقف عند المنقول، ويحقق الرواية المرفوعة، بل وكثيرًا من الآثار الموقوفة والمقطوعة من كلام الصحابة والتابعين، ويبين درجات الكثير من الأخبار من جهة الثبوت، ويلاحظ اللغة واختلاف القراء، مع العناية بالأصول والعقائد والأحكام والفقه، ولهذا الخصائص كتب الله له القبول منذ زمانه وإلى اليوم، يرد منه الخاص والعام" (١٤١).

(١٤٠) تفسير ابن كثير، سلامة: (١ / ١٩).

(١٤١) المقدمات الأساسية: (٣٣١).



(١٢) تفسير الجلالين، للمحلي (٨٦٤)، والسيوطي (٩١١) (١٤٢).

هذا الكتاب من أشهر كتب التفسير المختصرة، وكان لعلماء الديار المصرية عناية فائقة به. شرع الجلال المحلي في تأليف الكتاب، فكتب من أول سورة "الكهف" إلى آخر القرآن، وكتب تفسير سورة "الفاتحة" والآيات "١ - ٢٦" من سورة "البقرة"، ثم مات رحمه الله، فأكمل الكتاب الحافظ الجلال السيوطي، وقال بعد تمام سورة الإسراء: "هذا آخر ما كملت به تفسير القرآن الكريم الذي ألفه الشيخ الإمام العلامة المحقق جلال الدين المحلي الشافعي رضي الله عنه. وقد أفرغت فيه جهدي وبذلت فكري فيه، في نفائس أراها - إن شاء الله تعالى - مُجدي، وألفته في مدة قدر ميعاد الكليم، وجعلته وسيلة للفوز بجنت النعيم. وهو في الحقيقة مستفاد من الكتاب المُكْمَل، وعليه في الآي المشابهة الاعتماد والمعول. فرحم الله امرأً نظراً بعين الإنصاف إليه، ووقف فيه على خطأ فأطلعني عليه".

وقال السيوطي في ترجمة الكواشي^(١٤٣): "وله التفسير الكبير، والصغير، جود فيه الإعراب، وحرر أنواع الوقوف، وأرسل منه نسخة إلى مكة والمدينة والقدس. قلت: وعليه اعتمد الشيخ جلال الدين المحلي في تفسيره. واعتمدت عليه أنا في تكملته مع الوجيز^(١٤٤)، وتفسير البيضاوي، وابن كثير^(١٤٥)." قال عنه حاجي خليفة: "وهو مع كونه: صغير الحجم، كبير المعنى، لأنه لب لباب التفاسير"^(١٤٦).

(١٤٢) أجود طبعاته طبعة الدكتور فخر الدين قباوة، والمطبوعة بالشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان، وله عليه عمل

مختصر سماه: تفسير الجلالين الميسر، وآخر مطول سماه: المفصل.

(١٤٣) أحمد بن يوسف بن حسن بن رافع الإمام موفق الدين الكواشي الموصلي المفسر الفقيه الشافعي.

(١٤٤) أي: الوجيز، للإمام الواحدي، وهو مطبوع.

(١٤٥) بغية الوعاة: (١ / ٤٠١).

(١٤٦) كشف الظنون: (١ / ٤٤٥).



وقد لقي الكتاب قبولاً واسعاً بين العلماء، وأكثروا من شرحه، والتحشية عليه، ومن أنفس حواشيه:

١. الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية، المعروف بحاشية الجمل على

الجلالين، لسليمان بن عمر العجلي الشهير بالجمل (ت: ١٢٠٤).

٢. حاشية مجموعة لبعض علماء باكستان، مطبوعة بمكتبة البشرية، بكراتشي، وهي حاشية نفيسة^(١٤٧).

٣. حاشية المفصل في تفسير القرآن، د. فخر الدين قباوة.

واعلم أن تفسير الجلالين لا يصلح وصفه للمبتدئ، إذ هو من تفاسير المتقدمين أهل الإتيان والفهم!

وفيه من النكات اللغوية والعقدية والبلاغية والفقهية مع القراءات وما إلى ذلك ما يعجز الطالب المبتدئ عن إدراكه فضلاً عن العامي، ويضيع عليه - كثيراً - فهم المعنى المراد من الآية لاستغلاق العبارة، واحتياجها إلى فك!

وفي الكتاب من مصطلحات الفنون ما ينبغي أن يفهمه الطالب ليكتمل فهمه للمعنى المراد من كلام أحد الجلالين.

(١٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي (٨٨٥) (١٤٨).

كتب العلماء في علم المناسبات، والمراد بهذا العلم: بيان وجه ارتباط اللفظة أو الآية أو السورة، أو غيرها مما يحكيه العلماء من أنواع المناسبات.

"وهذا العلم لطيف المأخذ، وهو يعتمد على أن بين آي القرآن وسوره ترابطاً، وإن كان مختلف الأوقات في النزول؛ لأن ترتيبه من لدن الله الحكيم.

وهذا المبدأ صحيح لا مأخذ عليه، وإن كان لا يلزم منه أن يتوصل المفسر الذي يسلك البحث عن مناسبات آيات القرآن وسوره = إلى جميع المناسبات، لذا لا يخلو من كتب في علم المناسبات من التكلف.

أنواع المناسبات:

مناسبة اسم السورة لموضوعاتها، ومناسبة اللفظة للآية التي وردت فيها، ومناسبة خاتمة الآية لموضوعها، ومناسبة مبدأ الآية لخاتمها، ومناسبة الآية للآية التي تليها، ومناسبة السورة للسورة التي تليها، ومناسبة خاتمة السورة لفاتحة التي تليها، ومناسبة موضوعات السورة لموضوعات التي تليها، وغيرها من أنواع المناسبات.

وقد يوجد أكثر من مناسبة بين الموضوعين الذين تحكى بينهما المناسبة، كما قد يكون سبب المناسبة التضاد بين الشئيين؛ كذكر الجنة بعد النار، وذكر خبر المؤمنين بعد الكفار، أو وجود التلازم بينهما كتلازم الحمد والتسبيح، أو غير ذلك من المناسبات التي تظهر للمتأمل فيها" (١٤٩).

وأعظم من كتب في هذا العلم وأشفى على الغاية القصوى فيه، وغدا مرجعاً لا يستغنى عنه فيه هو برهان الدين البقاعي (ت ٨٨٥ هـ) في كتابه: ((نظم الدرر في تناسب الآيات والسور))، حيث ذكر المناسبات بين آيات القرآن وسوره كلها.

(١٤٨) له طبعات، من أجزائها: طبعة دائرة المعارف العثمانية، بحيدر آباد - الهند، الطبعة الثانية، وتتوفر مصورة.

(١٤٩) أنواع التصنيف المتعلقة بالقرآن: (١١٠)، وانظر: علم المناسبات في القرآن، للشيخ د. محمد الخضير، مقال منشور بموقعه.



وقد لخص البقاعي تجربته في التعرف على المناسبة فقال: "تتوقف الإجابة فيه على معرفة مقصود السورة المطلوب ذلك فيها، ويفيد ذلك معرفة المقصود من جميع جملها؛ فلذلك كان هذا العلم في غاية النفاسة، وكانت نسبته من علم التفسير نسبة علم البيان من النحو" (١٥٠).
وقد ذكر البقاعي في كتابه "مصاعد النظر" ثناء العلماء على كتابه "نظم الدرر".
وقال في نهاية الكتاب: "هذا تمام ما أردته من نظم الدرر من تناسب الآي والسور، ترجمان القرآن مبدي مناسبات الفرقان، التفسير الذي لم تسمع الأعصار بمثله، ولا فاض عليها من التفاسير على كثرة أعدادها كصيب وبله" (١٥١).
قال حاجي خليفة: "وهو: كتاب لم يسبقه إليه أحد، جمع فيه: من أسرار القرآن، ما تحير منه العقول" (١٥٢).

(١٥٠) مصاعد النظر: (١ / ١٤٢)، نظم الدرر: (١ / ٦).

(١٥١) نظم الدرر: (٢٢ / ٤٤٣).

(١٥٢) كشف الظنون: (٢ / ١٩٦٢).

(١٤) محاسن التأويل، للقاسمي (١٣٣٢) (١٥٣).

من التفاسير السهلة العذبة، جمعه مؤلفه من تفاسير من سبقه، ورتبه بطريقة جيدة، وقدم له بمقدمة حسنة.

قال عنه مؤلفه: "إن أكرم ما تمتد إليه أعناق الهمم، وأعظم ما تتنافس فيه الأمم، العلم الذي هو حياة القلب، وصحة اللب وأجل أصنافه وأرفعها، وأكمل معالمه وأنفعها، هي العلوم الشرعية، والمعارف الدينية، إذ بها انتظام صلاح العباد، واغتنام الفلاح في المعاد، وعلم التفسير، من بينها، أعلاها شأنًا، وأقواها برهانًا، وأوثقها بيانًا، وأوضحها تبيانًا... وإني كنت حركت المهمة إلى تحصيل ما فيه من الفنون.. وتصفححت ما قدر لي من تفاسير السابقين، وتعرفت، حين درست، ما تخللها من الغث والسمين.. وبعد أن صرفت في الكشف عن حقائقه شطرا من عمري، ووقفت على الفحص عن دقائقه قدرًا من دهري، أردت أن أنخرط في سلك مفسريه الأكابر، قبل أن تبلى السرائر وتفنى العناصر، وأكون بخدمته موسومًا، وفي حملته منظومًا، فشذت كليل العزم، وأيقظت نائم الهم، واستخرت الله تعالى في تقرير قواعده، وتفسير مقاصده، في كتاب اسمه بعون الله الجليل: «محاسن التأويل»، أودعه ما صفا من التحقيقات، وأوشحه بمباحث هي المهمات، وأوضح فيه خزائن الأسرار، وأنقد فيه نتائج الأفكار، وأسوق إليه فوائد التقطتها من تفاسير السلف الغابر، وفرائد عثرت عليها في غضون الدفاتر، وزوائد استنبطتها بفكري القاصر، مما قادني الدليل إليه، وقوي اعتمادي عليه.

وسيحمد السابح في لججه، والسانح في حججه، ما أودعته من نفائسه الغريبة البرهان، وأوردته من أحاديثه الصحاح والحسان، وبدائعه الباهرة للأذهان، فإنها لباب اللباب، ومهتدى أولي الألباب.

ولم أطل ذيول الأبحاث بغرائب التدقيقات، بل اخترت حسن الإيجاز في حل
المشكلات... " (١٥٤).

وهو من التفاسير التي تصلح للمتوسط، لأن أكثره نقول، ويحتاج في بعض مواضعه إلى فهم
ودقة، وقد اعتنى القاسمي في كتابه بالقراءات، وباللغة، واعتنى بآيات الأحكام، ويؤخذ عليه أن
تأثر بأفكار الشيخ محمد عبده، وتبنى بعض أفكاره التي تصادم الأحاديث الصحيحة، كانشقاق
القمر ونحو ذلك.

(١٥) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (١٣٧٦) (١٥٥).

يقول الشيخ الفقيه محمد الصالح العثيمين في التعريف بهذا التفسير: "إن تفسير شيخنا عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله تعالى المسمى ((تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان)) من أحسن التفاسير حيث كان له ميزات كثيرة:

منها: سهولة العبارة ووضوحها، حيث يفهمها الراسخ في العلم ومن دونه.

ومنها: تجنب الحشو والتطويل الذي لا فائدة منه إلا إضاعة وقت القارئ وتبليبل فكره.

ومنها: تجنب ذكر الخلاف، إلا أن يكون الخلاف قوياً تدعو الحاجة إلى ذكره، وهذه ميزة مهمة بالنسبة للقارئ حتى يثبت فهمه على شيء واحد.

ومنها: السير على منهج السلف في آيات الصفات، فلا تحريف ولا تأويل يخالف مراد الله بكلامه، فهو عمدة في تقرير العقيدة.

ومنها: دقة الاستنباط فيما تدل عليه الآيات من الفوائد والأحكام والحكم، وهذا يظهر جلياً في بعض الآيات كآية الوضوء في سورة "المائدة" حيث استنبط منها خمسين حكماً، وكما في قصة داود وسليمان في سورة "ص".

ومنها: أنه كتاب تفسير وتربية على الأخلاق الفاضلة، كما يتبين في تفسير قوله تعالى في سورة الأعراف {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ} [الأعراف: ١٩٩].

ومن أجل هذا أشير على كل مرید لاقتناء كتب التفسير أن لا تخلو مكتبته من هذا التفسير القيم" (١٥٦).

وللكتاب مختصر، اختصره المؤلف بنفسه، وطُبع في حياته، وسماه: ((تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن)) (١٥٧).

(١٥٥) له طبعات متعددة، من أجودها: طبعة دار ابن الجوزي السعودية، بعناية: الصميل، والطبعة الموجودة بمجموعة مؤلفات الشيخ، طبعة دار الميكان.

(١٥٦) تيسير الكريم الرحمن، تحقيق اللويحق، مقدمة الشيخ ابن عثيمين: (١١).



وهو من أنفع الكتب للمسلم بعامة، ولمن يريد الاقتراب من القرآن بخاصة، وذلك أن الشيخ أقامه على فكرة جمع الآيات المتصلة والتي تتحدث في موضوع واحد تحت عنوان واحد، وشرح معانيها واستنباط فوائدها العلمية والعملية.

ولو نظرت إلى موضوعات الكتاب لوجدتها تشمل عامة مسائل الدين من العقائد والعبادات والأخلاق، وغيرها من القضايا التي يحتاجها المسلم في عموم حياته.

وفي هذا الكتاب حديث مختصر. ممتع عن قصص الأنبياء وما تحويه من العبر والفوائد، وهو - عند المتخصصين - من الكتب الجليلة المتعلقة بقصص الأنبياء، ولأهميته أفرده بعضهم بالطبع.

كما عقد الشيخ تحت فصل بعنوان: ((فوائد مثورة منوعة غير مرتبة))، عدة موضوعات متعلقة بالقرآن وعلومه، منها: الوجوه والنظائر في القرآن الكريم.

وذكر الشيخ عددًا من الفوائد العظيمة في ذكر بعض الأسباب التي ذكرها الله في كتابه موصلة إلى المطالب العالية، كجعل الله التقوى والسعي والحركة سببًا للرزق، وجعل الله الإحسان في عبادة الخالق، والإحسان إلى الخلق سببًا يدرك به فضله وإحسانه العاجل والآجل، وجعل الله الصبر سببًا وآلة تدرك بها الخيرات، ويستدفع بها الكريهات، وجعل الله مفتاح العلم حسن السؤال وحسن الإنصات والتعلم والتقوى وحسن القصد، وهو فصل نفيس جدًا، حريٌّ بالتأمل، والاجتهاد في العمل به.

وختم الشيخ الكتاب بالتعريف بألفاظ يكثر ورودها في القرآن، وقام ببيانها، وشرحها.

(١٦) في ظلال القرآن، سيد قطب (١٣٨٧) (١٥٨).

ألف قطب الكتاب على عدة مراحل، فكان عبارة عن مقالات، ثم تطور ليصبح كتابًا بين عام ١٩٥٢ - ١٩٥٤ م)، ودخل السجن، ثم أخرج، فعاد للكتابة، ونقح ما صدر منه، ووصل في تنقيحه إلى الجزء العاشر، ثم سجن، وأخرج فنقحه إلى الجزء الثالث عشر، ثم أعدم رحمة الله عليه (١٥٩).

يقول الجديع (١٦٠): "هذا الكتاب عصارة تدبر رجل أوتي نصيبًا وافراً من أدب النثر والكتابة، ليس لغويًا برع في تحليل الألفاظ وتراكيبها، أو فقيهاً غاص في دقائق الشرائع، أو نظاراً قصد إلى أساليب الجدل وخاض في متاهات النظر، ولكنه رجل أقبل على القرآن يتأمل معانيه، مسترشداً ببعض كتب التفسير التي سبقته، كتفسير الإمام ابن كثير، مع البراعة الأدبية التي أوتيها، رابطاً ذلك بمحيطه وواقعه، محاكماً ذلك الواقع بما فهمه من خلال تدبره، وذلك في مقدار صلته بربه ودينه وكتابه، مراعيًا متغيرات زمانه وتطورات عصره، مستشعراً ظلم المتجبرين الخارجين عن حكم الله.

جاء كتابه بما قرب به من معاني القرآن بمنزلة التفسير، وإن لم يكن يأتي على تحليل مفرداته.

فيه اعتماد الحديث والأثر، والتنبيه على أسباب النزول.

كما سلك فيه مسلكاً مبتكراً، وإن لم يكن جديداً في موضوعه، لكنه غير شائع في تطبيقه في كتب التفسير، وهو مراعاة الوحدة الموضوعية للسورة، والاعتناء بتحليل مضمونها، ثم تجزئته إلى مقاطع، مما يحصل به تقريب للبعيد، وربط للمعاني.

ووقعت في «الظلال» هفوات، عظمتها طائفة، وحقرتها أخرى، ونحن نحب سيدياً، لكن الحق أحب إلينا منه، لا نرضى قول هؤلاء ولا أولئك، فلا نعادي أولياء الله ولا نغالي فيهم، وإنما هم

(١٥٨) له طبعة متداولة واحدة، وهي طبعة دار الشروق بمصر .

(١٥٩) اتجاهات التفسير، للرومي: (٩٩٨).

(١٦٠) المقدمات الأساسية: (٣٨٧).



بشر- ممن خلق الله، ليسوا برسل ولا أنبياء، يؤخذ منهم ويرد عليهم، وفي تلك الهفوات ما هو خطأ بين، اعتذارنا عن سيد فيها يعود تارة إلى خلفيته الثقافية، كالذي يؤخذ عليه في باب العقائد، وتارة إلى ما عاناه هو وإخوانه من ظلم.. والله يتولاه برحمته وعفوه".

ومن الكتب التي تعرضت لبعض ما وقع فيه صاحب الظلال، كتاب: ((المورد الزلال في التنبيه على أخطاء الظلال))، للشيخ عبد الله الدرويش، وينظر معه لكتاب: ((مدخل إلى ظلال القرآن))، وكتاب: ((في ظلال القرآن في الميزان))، للشيخ د. صلاح الخالدي^(١٦١).

ومن الأمور التي يحسن التنبيه إليها؛ أن يعتني القارئ لهذا الكتاب بكتاب آخر من كتب التفسير، يفهم المعنى من خلاله قبل مطالعة الظلال، ليجمع بين الحسنيين، أعني: ليجمع بين ضبط المعنى، والاستفادة من الظلال وتجنب ما قد يمكن أن يكون قد وقع فيه مؤلفه من خطأ.

(١٦١) وللمؤلف نفسه ترجمة مطولة لسيد قطب، أسأها: ((سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد)).

(١٧) التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور (١٣٩٣) (١٦٢).

يعد هذا الكتاب من أجل كتب التفسير، ومن مفاخر التأليف المعاصر في علم التفسير، ومؤلفه عالم كبير، ومحقق بارع، صدر كتابه بمقدمة ضمنها قواعد في علم التفسير، وهي نفيسة. وعادته أن يتناول معلومات السورة، من حيث: تسميتها، ومكيثها أو مدنيثها، ويعرض للمعلومات التفصيلية في الآيات المفسرة، ويهتم ببلاغة القرآن ولغته. وهو من الكتب القليلة التي حافظ مؤلفها على نفس واحد في التأليف. قال ابن عاشور معرفاً بكتابه (١٦٣): "والتفاسير - وإن كانت كثيرة - فإنك لا تجد الكثير منها إلا عالية على كلام سابق بحيث لا حظ لمؤلفه إلا الجمع على تفاوت بين اختصار وتطويل"، ثم ذكر أهم التفاسير، وقال: "وقد اهتمت في تفسيري هذا ببيان وجوه الإعجاز ونكت البلاغة العربية وأساليب الاستعمال، واهتمت أيضا ببيان تناسب اتصال الآي بعضها ببعض"، وقال: "ولم أغادر سورة إلا بينت ما أحيط به من أغراضها، لئلا يكون الناظر في تفسير القرآن مقصورا على بيان مفرداته ومعاني جملة، كأنها فقر متفرقة تصرفه عن روعة انسجامه وتحجب عنه روائع جماله.

واهتمت بتبيين معاني المفردات في اللغة العربية بضبط وتحقيق مما خلت عن ضبط كثير منه قواميس اللغة.

وعسى أن يجد فيه المطالع تحقيق مراده، ويتناول منه فوائد ونكتا على قدر استعداده، فإني بذلت الجهد في الكشف عن نكت من معاني القرآن وإعجازه خلت عنها التفاسير، ومن أساليب

(١٦٢) له طبعات، من أجودها:

١ - الطبعة التونسية .

٢ - طبعة دار سحنون .

(١٦٣) التحرير والتنوير: (١ / ٧).

الاستعمال الفصيح ما تصبو إليه همم النحارير، بحيث ساوى هذا التفسير على اختصاره
مطولات القماطير، ففيه أحسن ما في التفاسير، وفيه أحسن مما في التفاسير.
وسميته: «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، واختصرت
هذا الاسم باسم «التحرير والتنوير من التفسير».

(١٨) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين الجكني الشنقيطي

(١٣٩٣)(١٦٤).

يعد هذا الكتاب أكبر كتب الشيخ محمد الأمين الجكني الشنقيطي، وأعظمها، وأكثرها فائدة، لم يتمه رحمه الله، ووصل فيه إلى تفسير (سورة قد سمع) (١٦٥).

اهتم فيه بإيراد الآيات التي قد تفيد في بيان الآية التي يفسرها، ويذكر الأحكام التي دلت عليها الآية، وضمن الكتاب بحثاً في اللغة، وأصول الفقه، وغيرها من الفوائد والمباحث التي حواها الكتاب.

وللشيخ رحمه عدة دروس في التفسير مسموعة، قام على طباعتها، والعناية بها د. خالد السبت، وسأها: "العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير" (١٦٦).

(١٦٤) أجود طبعاته: طبعة دار عالم الفوائد، بإشراف العلامة بكر أبو زيد .

(١٦٥) أكمله تلميذه الشيخ عطية محمد سالم رحمه الله، وألحق بالكتاب في عدة طبعات له .

(١٦٦) طبع في مجموعة آثار الشيخ .



(١٩) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر (١٦٧).

من التفاسير المهمة، والمغفول عنها، ألفه جماعة من العلماء^(١٦٨)، ودعاهم إليه: "حاجة المسلمين إلى وضع تفسير وسيط للقرآن الكريم، في أسلوب ميسر: يسهل للقارئ الوصول إلى معانيه"^(١٦٩).

وقد ذكروا منهجهم في تأليف التفسير^(١٧٠)، ومنه:

١. ذكر مقاصد السورة، والإمام بمجمل أغراضها.
 ٢. تفسير المفردات بإيجاز، وترك التفصيلات.
 ٣. ذكر أسباب النزول، والربط بين الآيات، وتجنب الإسرائيليات.
 ٤. لا يتوسعون في الأحكام الفقهية إلا حسب الحاجة.
 ٥. يشرحون القصص القرآني، ويذكرون الفوائد المتعلقة به.
- وهو كتاب عظيم النفع، يصلح للمسلمين عامة، ولشدة معرفة معاني القرآن بصيغة سهلة مفهومة، ويصلح لطالب علم التفسير المتوسط.

(١٦٧) له طبعة واحدة، وهي طبعة مجمع البحوث الإسلامية .

(١٦٨) شارك في تأليفه: الشيخ محمد أبو زهرة، والشيخ محمد حسين الذهبي، وغيرهما .

(١٦٩) التفسير الوسيط: (١ / ٥) .

(١٧٠) انظره: (١ / ١٣ - ١٤) .

(٢٠) التفسير الميسر، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف (١٧١).

ألفه جماعة من علماء التفسير، وفق منهجية واضحة، راعوا فيها ترجمة التفسير إلى لغات أخرى، ومن منهجيتهم:

١. تفسير الآيات الاعتقادية وفق منهج السلف.
 ٢. إبراز الهدايات القرآنية ومقاصد الشريعة من خلال التفسير.
 ٣. كون العبارة مختصرة سهلة، مع بيان معاني الألفاظ الغريبة أثناء التفسير.
 ٤. وقوف المفسر على المعنى المساوي للآية، وتجنب الزيادة الواردة في آيات أخر؛ كي تُفسر في موضعها.
 ٥. إيراد معنى الآية مباشرة دون الحاجة إلى الأخبار، إلا ما دعت إليه الضرورة.
 ٦. جعلوه وفق رواية حفص عن عاصم، وتركوا ذكر القراءات، ومسائل النحو والصرف والبلاغة.
- وهو من التفاسير الصالحة لعموم المسلمين.

(١٧١) له طبعة واحدة، وهي: طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، وطبعته المعتمدة: الثانية بإشراف الشيخ صالح آل الشيخ.

(٢١) المختصر في تفسير القرآن، مركز تفسير للدراسات القرآنية (١٧٢).

ألفه جماعة من علماء التفسير، واعتمدوا منهجًا ذكروه في مقدمة التفسير، وهو:

١. وضوح العبارة وسهولتها.
٢. الاقتصار على تفسير الآيات وبيان معانيها دون دخول في مسائل القراءات والإعراب والفقهاء ونحوها.
٣. شرح المفردات القرآنية الغريبة أثناء التفسير وتمييز الشرح بلونٍ مختلف بقدر الاستطاعة ليسهل الوقوف عليه لمن أراد.
٤. اتباع منهج سلف الأمة رضوان الله عليهم في التفسير - وفي بيان معاني آيات الصفات خصوصًا - باتباع ما دلَّ عليه القرآن والسنة دون تأويل أو تحريف.
٥. تحري المعنى الأرجح عند الاختلاف، مع مراعاة ضوابط التفسير وقواعد الترجيح.
٦. ذكر بعض هدايات الآيات وفوائدها في أسفل كل صفحة؛ بما يُعين على تدبرها وتام الانتفاع بها، تحت عنوان مستقل: من فوائد الآيات.
٧. التقديم بين يدي كل سورة ببيان زمان نزولها (مَكِّيَّة أو مَدَنِيَّة)، وبيان أهم مقاصدها باختصار.
٨. واعتمدوا في الترجيح على ترجيحات الإمام الطبري - رحمه الله -.

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع	م
٢ المحور الأول: مفهوم التفسير	(١)
٤ المحور الثاني: فضل الاشتغال بعلم التفسير	(٢)
٩ المحور الثالث: نشأة علم التفسير	(٣)
١٠ أولاً: التفسير في عهد النبي ﷺ	(٤)
١٤ ثانياً: التفسير في عهد أبي بكر الصديق رضي الله	(٥)
١٦ ثالثاً: التفسير في عهد الفاروق عمر رضي الله عنه	(٦)
٢٠ رابعاً: عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه	(٧)
٢٢ خامساً: عهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه	(٨)
٢٥ سادساً: عهد صغار الصحابة	(٩)
٢٦ سابعاً: ما بين (سنة ٦٧) وفاة ابن عباس إلى سنة (٩٣ هـ)	(١٠)
٢٨ ثامناً: كتب التفسير وما يتعلق بها حتى القرن الرابع الهجري	(١١)
٣١ المحور الرابع: كتب التفسير.. معلوماتها.. التعريف بأشهرها	(١٢)
٣٥ المعلومات الواردة في كتب التفسير	(١٣)
٣٧ التعامل مع كتب التفسير	(١٤)
٤١ التعريف بأشهر كتب التفسير	(١٥)
٤١ جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للإمام ابن جرير الطبري	(١٦)
٤٢ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للزمخشري	(١٧)
٤٤ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للإمام ابن عطية	(١٨)
٤٧ زاد المسير في علم التفسير، للإمام ابن الجوزي	(١٩)

- ٥٠ التفسير الكبير، للرازي (٢٠)
- ٥٢ الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٢١)
- ٥٤ أنوار التنزيل وأسرار التأويل، لليضاوي (٢٢)
- ٥٧ تفسير ابن تيمية (٢٣)
- ٦٠ التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي (٢٤)
- ٦٣ البحر المحيط، لأبي حيان (٢٥)
- ٦٦ تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٢٦)
- ٦٨ تفسير الجلالين، للمحلي، والسيوطي (٢٧)
- ٧٠ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي (٢٨)
- ٧٢ محاسن التأويل، للقاسمي (٢٩)
- ٧٤ تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (٣٠)
- ٧٦ في ظلال القرآن، سيد قطب (٣١)
- ٧٨ التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور (٣٢)
- ٨٠ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين الجكني الشنقيطي (٣٣)
- ٨١ التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر (٣٤)
- ٨٢ التفسير الميسر، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف (٣٥)
- ٨٣ المختصر في تفسير القرآن، مركز تفسير للدراسات القرآنية (٣٦)
- ٨٤ فهرس الموضوعات (٣٧)